وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس – المدية –
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

الأنساق الثقافية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال لـ: الطيب صالح

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- **شنوفي هدى**
- **تواتي منال**

– إشراف الأستاذ :

– د/ زاوي محمد

لجنة المناقشة

لدزر فوزي	رئيسا
زاوي محمد	مشرفا
عثمانين خالد	مناقشا

السنة الجامعية

2024 – 2023


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير:

نتوجه بالشكر والحمد والثناء لله عزوجل الذي أعاننا ووفقنا وسدد خطانا في دراستنا وفي انجاز وإتمام هذا العمل، بعد ذلك نتوجه بخالص الشكر لأستاذنا الفاضل الدكتور زاوي محمد لقبوله الإشراف على هذه المذكرة ومرافقته لنا طيلة إعدادها بكل تواضع وحسن خلق، وبنصائحه القيمة وتوجيهاته الصائبة ودعمه المتواصل،فلك منا كل الشكر والتقدير أستاذنا الكريم.

وأسأل الله تعالى أن يوفقك دوما لصالح الأعمال ويجعلك من أهل الحكمة والكمال،

كما أتوجه بالشكر إلى كل أساتذتنا الذين رافقونا طوال المشوار الدراسي بجامعة الدكتور يحي فارس،قسم اللغة والأدب العربي،وإلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين رغم انشغالاتهم تشرفوا لنا بقبول مناقشة رسالتنا المتواضعة،ولا يفوتنا أن نتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى كل من دعمنا وساندنا على إتمام هذا العمل.

إهداء :

عظم المراد فهان الطريق فجاءت لذة الوصول...لتمحي مشقة السنين وما كنت لأفعل لولا توفيق من الله .

فالحمد لله الذي تيقنت به خيرا وأملا إلا وأغرقتني سرورا

في نهاية هذا البحث الذي يعتبر شاهدا على رحلة طويلة من التعب، التعب الذي كان وراء الظل، من تشققت يداه في سبيل رعايتي أبي الغالي...أطال الله في عمره.

وما أجمل أن تجد الدعم بدون مقابل، ذلك الدعم الذي يكون الغرض منه العمل على الوصول إلى ما يتمناه قلبك، إلى داعمتي الأولى وقوتي بعد الله من غرست فينا حب العلم....أمي الحبيبة أطال الله في عمرها.

إلى ذلك المستودع الكبير المليء بالحب والقوة الذي قيل فيهم "سنشد عضدك بأخيك" إلى إخوتي أسماء . رؤى . آية . جواد أدامكم الله خلعا ثابتا لي

إلى من كاتفني ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح في مسيرتنا العلمية "رفيقات دربي" .

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

هـنـال

إهداء:

من قال أنا لها "نالها"

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي أن تكون، لم يكن الحلم قريبا ولا الطريق محفوف بالتسهيلات

لكنني فعلتها ونلتها.

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا، الذي بفضله ها أنا اليوم أنظر إلى حلم طال،انتظاره وقد أصبح واقعا افتخر به بكل فخر أهدي هذا النجاح لنفسي أولا، ثم إلى ملاكي الطاهر وقوتي بعد الله، داعمتي الأولى "أمي"، أهديك هذا الانجاز الذي لولا تضحياتك لما كان له وجود، ممتنة لأن الله اصطفاك لي من البشر أما يا خير سند وعوض.

إلى من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل "أبي" شكرا.

إلى من قيل فيهم { سنشد عضدك بأخيك}:

إلى من هدو يدهم دون كلل ولا ملل "إخوتي" أدامكم الله ضلعا ثابتا لي.

إلى من كاتفني ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح في مسيرتنا العلمية

"رفيقات دربي" .

هدى

الـــمـقـدمـة

مقدمة:

تعتبر الرواية العربية جزءا هاما من التراث الأدبي، وقد حظيت بتقدير كبير و شعبية واسعة و اهتمام مستمر من طرف النقاد و القراء، نظرا لتعمقها في التعبير عن الرؤى والتصورات المختلفة، و تتناول موضوعات و قضايا متنوعة تعكس تطور المجتمع و تحدياته و كذلك إبراز مختلف الأنساق الثقافية التي تكشف علاقة الرواية بالمجتمع، إضافة إلى ذلك أن الرواية باعتبارها شكلا من أشكال الثقافة فإنها تزخر بأنساق ثقافية عديدة مضمرة التي استخدمها الروائيون في رواياتهم كشكل من أشكال المقاومة و التصدي ضد الفكر الكولونيالي الاستبدادي، بغية معالجة مختلف الضغوطات الإيديولوجية،

و من بين الروايات التي تضمنت في طياتها مجموعة من الأنساق الثقافية المضمرة المعبرة عن المقاومة الكولونيالية و عن واقع المجتمع العربي و ما خلفه الاستعمار داخل نفسية الشعوب، نجد رواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، رواية "قنديل أم هاشم" ليحي حقي، و رواية "الحي اللاتيني" للروائي اللبناني سهيل إدريس، و نجد أيضا رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للسوداني الطيب صالح، هذه الأخيرة هي من وقع اختيارنا عليها، كونها رواية أدب ما بعد الاستعمار، تحتوي على عدة أنساق مضمرة، مما أثار فضولنا نحو اكتشاف خفاياها، فقد قادتنا هذه الرائعة للتعرف أكثر على الخيال الواسع و الإبداعات الفنية للروائي الطيب صالح فكل قراءة للرواية تختلف عن التي قبلها، باكتشاف أفكار جديدة لم تخطر على البال في القراءة الأولى، و أيضا لأهمية البحث فهو جدير بالتنقيب.

أما من بين الدوافع الموضوعية: الانتشار الواسع للرواية وما حققته من شهرة، فكانت بمثابة بيضة الديك بالنسبة للطيب صالح، وكانت الرواية العربية الأفضل في القرن العشرين، ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا لا تزال تحظى بالتقدير والرواج في عالم الأدب، وتمت ترجمتها لعشرات اللغات، وقد تمركز هذا البحث على إشكالية أساسية مفادها:

ما هي أهم الأنساق الثقافية التي شكلت البنية النصية لرواية موسم الهجرة إلى الشمال؟

أدى هذا الإشكال لطرح عدة تساؤلات فرعية وهي كالأتي:

ما مفهوم النقد الثقافي؟

ما مفهوم النسق؟

هل تتمايز الدراسات الثقافية عن لنقد الثقافي؟

وللإجابة على هذه التساؤلات تم تصميم هيكل البحث كما يلي: فقد قسمناه إلى فصلين تسبقهما مقدمة مذيلة بخاتمة ثم قائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات، وأخيرا ملحق للتعريف بالروائي ونبذة عن حياته، وملخص للرواية.

ففي الفصل الأول المعنون ب: المفاهيم المفتاحية، تطرقنا فيه إلى التعريف ببعض المصطلحات التي تمثلت في: تعريف الرواية، الثقافة، النسق والنسق المضمر، ولم نغادر حتى عرّفنا على ماله صلة بكل مفهوم منهم، كتعريف للنقد والنقد الثقافي، وحتى تكتمل لدينا هذه الصورة تطرقنا إلى الإشارة بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية.

أما الفصل الثاني، فخصصناه للجانب التطبيقي تحت عنوان: الأنساق الثقافية في "رواية موسم الهجرة إلى الشمال" تناولنا فيه عدة عناصر وهي كالأتي:

_ثنائية الغرب والشرق في رواية موسم الهجرة إلى الشمال.

_نسق الذكورة، ونسق الأنوثة.

_ثم نسق الهوية...أزمة الهوية.

_ وأخيرا، نسق المكان.

ومن المؤكد أن كل بحث يقتضي منهجا يوجهه من البداية إلى النهاية، فمن خلال تتبعنا للأنساق الكامنة في خبايا النصوص وتحليل البنية النصية، اعتمدنا على أليات النقد الثقافي، كما وظفنا المنهج الوصفي التحليلي.

دون أن ننسى بعض المصادر والمراجع التي ساعدتنا واعتمدنا عليها في بحثنا نذكر منها:

_كتاب النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية لعبد الله الغذامي.

_كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد.

_كتاب في نظرية الرواية لعبد المالك مرتاض.

ولا يخلو أي بحث من بعض العقبات التي تواجه الباحث،ومن بينها كثرة البحوث في مجال النقد الثقافي والدراسات الثقافية،وكثرة مشارب الباحثين في هذا المجال مما جعل صعوبة تسليط الضوء على توجه واحد، إلا أننا حاولنا جهدنا توخي المتعارض منه عليه و العمل على ما اجتمعت عليه الأحكام فكانت هذه الدراسة مقيدة بجملة ما أحالت إليه من أنساق.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا ولو قليلا في إعداد هذا البحث، ولا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذنا الفاضل "زاوي محمد" الذي رافقنا طيلة مشوار البحث، ولم يبخل علينا في تقديم النصائح والتوجيهات، فكان لنا نعم المرشد في إنجاز هذا العمل.

والحمد لله على توفيقه.

الفصل الأول: مفاهيم مفتاحية

الفصل الأوّل: مفاهيم مفتاحية

المبحث الأول: تحديد الماهيات

1-تعريف الرواية:

الرواية لغة.

الرواية اصطلاحا.

2-تعريف الثقافة:

المفهوم اللغوي.

المفهوم الاصطلاحي.

3-مفهوم النسق:

المفهوم اللغوي.

المفهوم الاصطلاحي.

4-مفهوم النسق المضمر.

5-تعريف النقد:

المفهوم اللغوي.

المفهوم الاصطلاحي.

6-تعريف النقد الثقافي.

7_بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية.

1_ مفهوم الرواية:

أ_ الرواية لغة: يقول ابن سيده: والرواية المزادة فيها الماء، ويسمى البعير راوية على تسمية الشيء باسم غيره لقربه منه 'قال لبيد:

فتولوا فاتر مشيهم...كروايا الطبع همت بالوجل . ويقال للضعيف الوداع: ما يرد الراوية أي أنه يضعف عن ردها عن ثقلها لما عليها من الماء.

والراوية: هو البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء، والرجل المستقى أيضا راوية، قال، والعامة تسمى المزادة راوية، وذلك جائز على الاستعارة، والأصل الأول.[1]

وأيضا:

{روى} على البعير ريًا : استقى، وروى القوم، وعليهم، ولهم: استقى لهم الماء، وري البعير، شد عليه بالرواء، ويقال: روى على الرجل بالرواء: شده عليه لئلا يسقط من ظهر البعير عند غلبة النوم، وروى الحديث أو الشعر، رواية: حمله ونقله، فهو راوي(ج) رواة، ويقال: روى عليه الكذب: كذب عليه، ورمى الحبل ريًا، وروى: شرب وشبع، وروى فلانا الحديث والشعر: حمله على روايته والراوي: راوي الحديث والشعر أي حامله وناقله. و(الرواية): القصة الطويلة(محدثة)[2].

ب_ الرواية اصطلاحا: تعد الرواية أحدث نوع نثري عرفه العرب إذ نجدها من الأجناس الأدبية التي تحظى بشعبية كبيرة، ولها تأثير على المتلقي لأنها تعبر عن اهتمامات الإنسان المعاصر ومشاكله ومن السهل على أي قارئ أن يتعرف على هذا الجنس النثري على غيره من الأجناس الأدبية، وهذا لمميزاتها وخصائصها الفريدة، وبالقدر الذي تبدو فيه الرواية معروفة، فإن تعريفها ليس بالأمر الهين نظرا لتطورها المستمر، وهنا تكمن الصعوبة وقد أشار الدكتور عبد المالك مرتاض قائلا: " والحق أننا بدون خجل ولا تردد نبادر إلى الإجابة

[1] ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، دار المعارف، ص1784.

[2] المعجم الوسيط.ص384.

عن هذا السؤال بعدم القدرة على الإجابة عنه، ذلك أن الإجابة عنه تقتضي تدبيج مجلد ضخم يتناول تفاصيل هذا الجنس الأدبي في مساره وبنيته وأنواعه[1].

فنجد آمنة يوسف التي عرفت الرواية على أنها "**فن نثري تخيلي طويل نسبيا بالقياس إلى فن القصة**[2] فهنا آمنة يوسف عرفت الرواية أنها جنس من الأجناس الأدبية النثرية المشابهة للقصة، وأنها خليط من الواقع والخيال وبسبب طوله يعكس عالما من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات المثيرة والغامضة أيضا وهي عبارة عن انعكاس للواقع الإنساني.

وترى أيضا من خلال تعريف ميخائيل باختين أن "**في الرواية تكمن ثقافات إنسانية وأدبية مختلفة ذلك أن الرواية تسمح بأن ندخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية، سواء أكانت أدبية (قصص، أشعار...)أو غير أدبية(نصوص بلاغية وعلمية ودينية) نظريا فإن أي جنس تعبيري يمكنه أن يدخل إلى بنية الرواية، وليس من السهل العثور على جنس تعبيري ولم يسبق له في يوم ما أن ألحقه كاتب أو اخر بالرواية.**"[3]، وهذا يعني أن الرواية ملمة بكل الثقافات سواء كانت أدبية أو إنسانية، وأنها تضم أيضا أجناس تعبيرية مختلفة فالرواية فن واسع المجال ومتعدد المناهج.

ونجد أيضا في كتاب القصة **والرواية** لعزيزة مريدن تقول حيث: "**أن الرواية كالقصة، ولكنها تختلف عنها عامة في الأحداث والشمول والتصوير والحيز الذي تدور فيه، والزمن الذي تستغرقه**"[4].

ومن خلال هذا التعريف نرى أن الرواية تتصف بالكلية والشمولية سواء من ناحية المواضيع أو من ناحية الشكل، وأنها تختلف عن القصة من حيث الأحداث، فأحداث

---

[1] عبد المالك مرتاض، الرواية جنسا أدبيا، مجلة أقلام، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986، ص 124- 125. https://arshive.alsharekh.org

[2] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص 27 .

[3] المرجع نفسه ص 28/27.

[4] عزيزة مريدن، القصة والرواية، دار الفكر بدمشق، شارع سعد الله الجابري، 1980، ص 73.

القصة محدودة على عكس أحداث الرواية، وزمن القصة يكون بصيغة الماضي أما زمن الرواية يكون في الزمن الحاضر.

وترى أيضا عزيزة مريدن أن: **"الرواية أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها عدا أنها تشغل حيزا أكبر، وزمنا أطول، وتتعدد مضامينها كما هي في القصة، فيكون فيها الروايات العاطفية والفلسفية والنفسية والتاريخية والاجتماعية"[1].**

وبما أن الرواية واسعة المجال فوارد منها أن تكون متعددة المضامين والأنواع.

وتقول كذلك: **"الرواية تقوم على حادثة أساسية واحدة، تتفرع عنها حوادث أخرى وعلى الرغم من تركيزها حول شخصية بطل أو بطلين، فإنها تعرض في ثنايا الأحداث شخصيات أخرى ثانوية. والرواية أكثر حياة وحيوية وحركة، ويمتاز كاتبها لذلك بنظرة أكثر شمولا، كما يمتاز موضوعها بأنه أجل وأوسع إذ يصور الكاتب فيها أحداثا في زمن ممتد"[2].**

فموضوع الحبكة الروائية هو الحدث الأساسي الذي تقوم عليه الرواية ومنه تتتابع الأحداث بطريقة متسلسلة لتظهر أحداث أخرى وشخصيات غير شخصية البطل وتسمى بالثانوية، ويكون لها دور في ثنايا أحداث الرواية، ويصور الكاتب في الرواية أحداثا في زمن طويل ممتد، فماضي الشخصية الروائية ليس إلا ذكرى ومستقبلها مبهم، وتتميز بغزارة المعلومات والذكريات الكثيرة.

أما معجم المصطلحات الأدبية لفتحي ابراهيم فقد جاء فيه أن: **"الرواية سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبعة البرجوازية، وما صحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعات الشخصية"[3]**

يصور فتحي ابراهيم الرواية بتعريفه هذا على أنها مرتبطة بالسرد القصصي، وقد أشار إلى حجم الرواية المتميز بالطول، والشخصيات الفردية المرتبطة بالأحداث والأفعال

---

[1] عزيزة مريدن، القصة والرواية، ص 14.

[2] المرجع نفسه، ص 73، 74 .

[3] فتحي ابراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، الجمهورية التونسية ص 176 .

والمشاهد، وعرفها على أنها شكل أدبي جديد وقد ربط ظهور الرواية بنشوء الطبقة البرجوازية التي حررت الفرد.

وقد عرفها العلامة عبد المالك مرتاض حيث قال: **"الرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما ستتميز عنها بخصائصها الحميمية، وأشكالها الصميمية وأما بالقياس إلى اشتراكها مع الحكاية والأسطورة فإن الرواية تفترق بشيء من الفهم والجشع من هذين الجنسين الأدبيين العريقين، وذلك على أساس أن الرواية الجديدة أو الرواية المعاصرة بوجه عام، لا تلغي أي غضاضة في أن تغني نصها السردي بالمأثورات الشعبية والمظاهر الأسطورية والملحمية جميعا"**[1]

يريد العلامة عبد المالك مرتاض من خلال ما قاله هنا عن الرواية هو تبيين أن الرواية من بين الأجناس الأدبية، وأنها تشترك مع كل جنس أدبي اخر في مجموعة من الخصائص وبقدر اشتراكها أيضا تتميز عن تلك الأجناس الأدبية الأخرى بخصائص وأشكال خاصة بها، وتشترك الرواية مع الحكاية والأسطورة قياسا بينهم فهو يرى أن الرواية تفترق بشيء من الجشع من الحكاية والأسطورة، وذلك أن الرواية بصفة عامة لا تلغي أي نقص في أن تخفي نصها السردي بكل ما هو شعبي وأسطوري .

ويضيف الكاتب نفسه تعريفا اخرا للرواية مؤكدا فيه صعوبة ضبط مفهومها قائلا: **"الرواية من حيث هي جنس أدبي راق ذات بنية شديدة التعقيد متراكبة التشكيل تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكل لدى نهاية المطاف شكلا أدبيا جميلا."**[2]

فالرواية من خلال عدم الثبات في بنيتها العامة، وتميزها بالزئبقية والحركية والتعدد في الإنجاز أثناء التأليف، مما يولد عند القارئ نوعا من التشويق والإثارة في الاطلاع على هذا الجنس الأدبي الغامض الذي يشكل في نهاية المطاف شكلا أدبيا رائعا له آلاف المعجبين.

---

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ديسمبر 1998، ص 11 .

[2] المرجع نفسه، ص 11.

من خلال ما سبق نتطرق إلى أن الرواية هي فن نثري، ونوع من أنواع السرد، تقوم بها شخصيات متعددة في زمان ومكان، وما يميز هذا الجنس الأدبي عن سواه هو انه منفتح على كل الأنواع الأدبية الأخرى.

وعموما لا يوجد تعريف جامع وثابت للرواية غير أنها تعبير عن الواقع الإنساني.

2_ تعريف الثقافة:

أ_المفهوم اللغوي: جاء في معجم الوسيط لفظة ثقافة على أنها العلوم والمعارف والفنون التي يتطلب الحذف فيها.[1]

ونجد أيضا المفهوم عند ابن منظور : **"وقال أبو زياد: رجل ثقف لقف رام راو للحياني، رجل ثقف لقف وثقيف لقيف بين الثقافة واللقافة "**[2]...ويقال : **ثقف الشيء وهو سرعة .**

وبوسعنا أن نقول إن الفعل (ثقف) أصل لغوي يتصل تاريخه بلغة ما قبل الإسلام، حتى نراه قد ورد في بعض ايات من القران الكريم مثل قوله تعإلى " واقتلوهم حيث ثقفتموهم ."[3]**البقرة(02\191).**

من خلال جملة التعاريف اللغوية حول الثقافة في جلها المعاجم العربية نلحظ أنها تصب في معنى واحد الذي هو الفطنة والذكاء والمعرفة والتعلم.

ب_ المفهوم الاصطلاحي: إن مصطلح الثقافة في مفهومه العام مجموعة من الصفات التي تمكن المتصف بها من التمييز في فهم الواقع والقدرة على التعامل معه بحكمة.

وذكرها مالك ابن نبي في كتابه مشكلة الثقافة فقال: **"تتحدد الثقافة بصفة عامة عندما تصبح تاريخا، فتتمثل لأعين الأجيال في صورة معجزة إغريقية أو إمبراطورية رومانية، غير أن القرن العشرين قد أدخل مقياسا جديدا في روح المنهج وفي الطريقة التي تحدد بها الثقافة، فالإنسانية قد دخلت عصر التخطيط منذ الحرب العالمية الأولى**

---

[1] المعجم الوسيط ص 98.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، طبعة جديدة محققة 1119 كورنيش النيل، القاهرة، م.ع، ص 492.

[3] مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر، دمشق، سوريا ص 25.

وإذن فإذا أردنا أن نفهم الثقافة في هذا العصر وجب أن نفهمها بوصفها منهاجا قبل أن نحددها نتيجة، وعلى ذلك فإذا ما واجهنا اليوم مشكلة الثقافة وجب أن نعرفها طبقا لمقياس عملي، وذلك بأن تكون صالحة لشيء ما، وان تكون على علم بهذا الشيء، أي تتحدد طبقا لما يجب أن تقوم به من عمل"[1].

وعليه فالثقافة عدت الركن الأساس والمنطلق الرئيس الذي قام عليه مشروع النقد الثقافي لما تحمله من مكانة هامة في الساحة النقدية والأدبية.

ويرى روبرت بيرستد أحد علماء الاجتماع المحدثين أن "**الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه كأعضاء في مجتمع".[2]**

فالثقافة إذن تشير ببساطة إلى انماط السلوك السائدة في المجتمع البشري وتشمل كذلك المعتقدات، والمبادئ الأخلاقية واللغة والموسيقى، والفن، ووسائل انتقالها باعتبارها تراثا اجتماعيا إلى الاجيال التالية.

وعلي سيد الصاوي عرف الثقافة نقلا عن إدوارد تايلور في كتابه "**الثقافة البدائية"(على أنها كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان بعده عضوا في المجتمع).[3]**

ومن هنا فالثقافة تعد عبارة عن شيء مركب يتمثل في الجانب الفكري والسلوكي والمادي.

وعرفها هوريو بقوله"الثقافة إنَّها ذلك الذي نحتفظ به حينما ننسى ما تعلمناه"

والأمريكي هوركوفيست تردد وهو يعطي لها تعريفا، فأعطى لها تعاريف ثلاثة سماها المتناقضات الظاهرة من أجل أن يحيط بدلا من أن يحدد لها تعريفا منهجيا أفلت منه فالثقافة هي أسلوب حياة، الأسلوب المشترك لمجتمع بأكمله من علماءه إلى فلاحيه[4]

---

[1] مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة،ص 118.119.

[2] مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر، علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978، ص 9.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة، المرجع السابق، ص135.138.

3_مفهوم النسق:

أ_ المفهوم اللغوي: (النسق) ما كان على نظام واحد من كل شيء، "**يقال: جاء القوم نسقا، وزرعت الأشجار نسقا.**

ويقال : شعر نسق: مستوى النبتة حسن التركيب ودر نسق منتظم والمنسوق .

يقال: كلام نسق: متلائم على نظام واحد، و(حروف النَّسق): حروف العطف، ويقال : هذا نسق على هذا، عطف عليه [1].

كما جاء أيضا في لسان العرب لابن منظور تعريفا للنسق حيث يقول : نسق النَّسق من كل شيء، ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، وقد نسقته تنسيقا، ويخفف، ابن سيِّده : نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمه على السواء، و انتسق هو تناسق، والاسم النَّسق وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض، اي تنسقت.

والنحويون يسمون حروف العطف حروف النَّسق، لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحدا، وروى عن عمر رضي الله عنه، أنه قال "ناسقوا بين الحج والعمرة، قال شمر: معنى ناسقوا تابعوا وواتروا، يقال: ناسق بين الأمرين، أي تابع بينهما .

والنَّسق : كواكب مصطفة خلف الثريا، يقال لها الفرود، ويقال : رأيت نسقا من الرجال والمتاع، أي بعضهما إلى جنب بعض.

قال الشاعر : مستوسقات عصبا ونسقا

والنَّسق : بالتسكين : مصدر نسقت الكلام إذا عطفت بعضه على بعض، ويقال: نسقت بين الشيئين وناسقت .[2]

ب_ المفهوم الاصطلاحي : بعد تعرفنا على النسق لغة لابد من الاطلاع على مفهومه الاصطلاحي، فنجد استعمالاته عند النقاد والدراسات النقدية، مثل تعريفه عند يمنى العيد، في "كتاب معرفة النص"، **حيث تقول "يتعدد هذا المفهوم في نظرتنا إلى البنية ككل، وليس في نظرتنا إلى العناصر التي تتكون منها وبها البنية، ذلك أن البنية ليست مجموع**

[1] المعجم الوسيط، ص 919 \918.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ص4412.

هذه العناصر بل هي هذه العناصر بما ينهض بينها من علاقات تنتظم في حركة العنصر خارج البنية غير داخلها، وهو يكتسب قيمته داخل البنية وفي علاقته ببقية العناصر والتي بها تنهض البنية فتنتج نسقها"[1]

فيمنى العيد هنا تعرف لنا النسق على أنه انتظام بنيوي منسجم ومتناغم، وأنه يكتسب قيمة داخل البنية.

ونجد تعريف أخر عند عبد الله الغذامي الذي قال "**أننا هنا نطرح (النسق) كمفهوم مركزي في مشروعنا النقدي، ومن ثم فإنه يكتسب عندنا قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة"[2]**

هذا ما يتناسب مع مشروعه النقدي، ومنه يرى الغذامي أن النسق مرادف للبنية لكنه لم يقصد تلك الدلالة ولا يعترض عليها، وأن النسق يتكون من مجموعة من العناصر المترابطة ببعضها.

وجاء في قول اخر لنعمان بوقرة في كتاب المصطلحات الأساسية " **أن النسق هو ما يتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يقوله عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، إلا أن لهذه الحركة نظاما معينا يمكن ملاحظته وكشفه كأن نقول "إن لهذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الأفعال فيها، أو أن هذه العناصر المكونة لهذه اللوحة من خيوط وألوان تتألف وفق نسق خاص بها "[3]**

فيما سبق نرى أن النسق عند نعمان بوقرة هو ما يتولد من داخل البنية التي لها نظام معين يمكن ملاحظته وأنه مرتبط بالكيفية التي تتوإلى فيها الأفعال .

ويقول الغذامي كذلك : "**يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد والوظيفة النفسية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظاما**

---

[1] يمنى العيد، في معرفة النص .دار الافاق الجديدة .بيروت ص32.

[2] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العريقة، المركز الثقافي العربي الطبعة الثالثة، 2005، المملكة المغربية الدار البيضاء، لبنان بيروت، ص77.

[3] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية، في لسانيات النص وتحليل الخطاب .جدار للكتاب العالمي .عمان الأردن، ط1 1429هـ-2009 م، ص 140، 141 .

من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر و الآخر مضمر، ويكون المضمر ناقصا وناسخا للظاهر"[1] فالنسقية لا تحدد إلا بوجود نسقان متعارضان في النص أحدهما ظاهر والآخر مضمر.

نستنتج من خلال التعريفات التي بين يدينا أن النسق عنصر يتكون داخل البنية أو بالآخر من خلال حركة العناصر داخل البنية، وأنه نمطي ومتعدد الخصائص .وعناصره المترابطة المتكاملة تحقق وظيفة ضرورية.

4_ تعريف النسق المضمر:

يعرف سمير خليل النسق المضمر بقوله : **يأتي مفهوم النسق المضمر في النقد الثقافي بوصفه مفهوما مركزيا، والمقصود هنا أن الثقافة تملك انساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة ومن أهمها ...الجمالية أي الخطاب البلاغي الجمالي .**[2]

فهنا يقول سمير خليل عن النسق المضمر انه رسائل وقيم متخفية أو مختبئة خلف الأقنعة الجمالية وهو مرتبط بالثقافة، وفي قوله "التخفي عبر أقنعة سميكة "هذا ما يدل على أنه ليس من السهل استجلاء الأنساق المضمرة المتخفية خلف الأقنعة الجمالية داخل النصوص، وأنها تستدعي في استخراجها إلى قارئ حاذق ومتميز، متمكن من فك الشفرات المختبئة داخل النص خلف الجماليات.

ولقد بين لنا سمير خليل شروط لوضوح النسق المضمر حيث قال :

أ- وجود نسقين يحدثان معا وفي ان واحد أو فيما هو في حكم النص الواحد.

ب- يكون أحدهما مضمرا و الآخر علنيا، ويكون المضمر نقيضا وناسخا للمعلن.

ت- لابد أن يكون النص موضوع الفحص نصا جماليا لأننا ندعي على حد تعبير الغذامي، أن الثقافة تتوسل بالجمالي لتمرير أنساقها وترسيخ هذه الأنساق.

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، ص77.

[2] د سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، 1971، بيروت، لبنان ص293.

ث- لابد أن يكون النص ذا قبول جماهيري ويحظى بمقروئية عريضة وذلك لكي نرى ما الأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي تتوسل بالجمالي لتمرير أنساقها وترسيخ هذه الأنساق .[1]

بهذه الشروط الأربعة يتحقق مفهوم النسق المضمر وهو كل دلالة نسقية مختبئة تحت الجمالية وتزرع ما هو غير جمالي في الثقافة.

وهذا معنى اختباء نسق تحت الجمالية هو ما يدل على وجود نسقين في نص واحد يكون أحدهما مضمر و الآخر علني وهو أساس النقد الثقافي.

ونجد تعريفا آخر عند عبد الله الغذامي الذي يقول : **"يكون المضمر منهما نقيضا ومضادا للعلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي".[2]**

وهذا ما يدل على تبعية الأنساق ببعضها فوجود نسق علني يستلزم وجود نسق مضمر، وهذا ما أصبح مجال الدراسات الحديثة في النقد الثقافي .

ونفس الكاتب يقول أيضا : **"والنسق هنا من حيث هو دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب، مؤلفتها الثقافة ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب و قراء."[3]**

هذا ما يدل لنا على أن النسق المضمر لا يدخل في النص أو الخطاب عن طريقة وعي من المؤلف وإنما عن طريقة غير واعية للكاتب أو المؤلف نسبة إلى الثقافة التي ينتمي إليها النص.

كخلاصة للقول نرى أنه عند استخراجنا للنسق المضمر يجب استخدام اليات لتحليل النص الأدبي كالقراءة العميقة والتأويل، وأن لا نأخذ أول رأي وانطباع من أول ولهة أثناء قراءتنا للنص، ويجب على المتلقي أن يكون ذو وعي ثقافي عالي لفك شفرات الأنساق.

5_ تعريف النقد:

أ_ المفهوم اللغوي:

---

[1] د سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، المرجع السابق، ص294.

[2] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، ص78.

[3] المرجع نفسه، ص79.

لقد حاز مصطلح "النقد" على اهتمام الباحثين في الساحة الأدبية والنقدية كما أخذ هذا المصطلح شيوعا واسعا في الفترة الأخيرة.

" النقد هو نقد النون والقاف والدال أصل صحيح يدل على إبراز شيء وبروزه، ومن ذلك النقد في الحافر، وهو تقشره، حافر نقد، متقشر، والنقد في الضرس تكسره، وذلك يكون بتكشف ليطه عنه، ومن الباب، نقد الدرهم، وذلك أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك، ودرهم نقد، وازن جيد، كأنه قد كشف عن حاله فعلم، يقال للقنفذ الأنقد، يقولون: "بات فلان بليلة أنقد"، إذ بات يسرى (ليله)كله، وهو ذلك القياس، لأنه كأنه يسري، حتى يسر عنه الظلام .

ويقولون: **«إن الشيهم لا يرقد الليل كله، وتقول العرب: مازال فلان ينقد الشيء، إذا لم يزل ينظر إليه** [1]

وجاء في قول اخر: **"أن النقد خلاف النسيئة والنقد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، وأنشد سيبويه:**

تنفق يداها الحصى في كل هاجرة نفى الدنانير تنقاد الصياريف

والنقد السُفل من الناس، وقيل: النقد، بالتحريك جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه تكون بالبحرين". [2]

من خلال جملة التعاريف اللغوية حول النقد نستخلص بأنه الحكم على الاعمال الأدبية شعرا او نثرا سواء بالجودة أو بالرداءة و اكتشاف مواطنها والبحث عن مكامن الجمال في العمل الادبي حتى ولو كان زاخرا ناقلا للقبح.

ب_ المفهوم الاصطلاحي:

النقد عموما هو تعبير مكتوب أو منطوق من متخصص يسمى ناقدا، ويكون بين الجيد والرديء في أفعال أو قرارات يتخذها الإنسان في مختلف المجالات من وجهة نظر الناقد.

---

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، الجزء الخامس(5)، ص467\468.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، 4517.

وقد عرفه إحسان عباس في كتابه "**النقد الأدبي عند العرب**" حيث قال: "**النقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة أو إلى الشعر خاصة، يبدأ بالتذوق، أي القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتحليل والتقييم، خطوات لا تعني احداها عن الاخرى، وهي متدرجة على هذا النسق، كي يتخذ الموقف نهجا واضحا، موصلا على قواعد جزئية أو عامة، مؤيدا بقوة التمييز**".[1]

فبالمعنى العام النقد هو التمييز بين الصحيح والزائف وهو دراسة للأعمال الأدبية (شعرا أونثرا) والكشف عن عناصر الابداع ثم اصدار الحكم النقدي المناسب عليها .

وجاء تعريف اخر في كتاب "أصول النقد الأدبي" لأحمد الشايب "تعريف من وجهة نظر المحدثين " **فيقول: "النقد عندهم التقدير الصحيح، لأي أثر فني وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه**" [2] فالنقد هنا في رأيهم هو كل تقدير صحيح لأي فن أدبي ببيان قيمته في ذاته قياس على قواعد يمتاز بها الأدب.

ويرى احمد الشايب أن : "**مهما تكن وظيفة النقد وغايته التي يعمل لتحقيقها فلا بد للناقد أن يكون ثاقب النظر، سريع الخاطر ...قادرا على المشاركة العاطفية مع الأديب ... وحسن فهمه وتعمقه إلى ابعد غاية، ليتيسر له الانصاف والحكم الصحيح**"[3] فأحمد الشايب يبين لنا ان وراء كل نقد جيد ومضبوط هناك ناقد في الخفاء يمتاز بصفات تؤهله وتؤهل نقده إلى درجة الإنصاف والحكم الصحيح.

ويقول طه احمد إبراهيم : "**لعل النقد الأدبي على حداثة العناية به في مصر من أهم الدراسات، وألزمها لتذوق الأدب وتاريخه، وتمييز عناصره، وشرح أسباب جماله وقوته، ورسم السبل الصالحة للقراءة والإنشاء**".[4]

---

[1] احسان عباس، تاريخ النقد الادبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن هجري)دار الثقافة، بيروت لبنان، ص14.

[2] احمد الشايب، أصول النقد الادبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط10، القاهرة 1994، ص116.

[3] المرجع نفسه، ص117.

[4] طه احمد ابراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، المكتبة العربية، بيروت، 1981، ص01.

من خلال ما تم الاطلاع عليه في تعريفات مصطلح النقد نرى انه : تذوق وتمييز، وتقييم وتفسير، وهو عمل ذو قيمة للأدب، يخضع لثقافة الناقد ويسير حسب وجهة نظره.

6_ تعريف النقد الثقافي:

يعتبر النقد الثقافي من أهم التوجهات النقدية التي عرفها العالم الغربي لما بعد الحداثة، وظهر كرد فعل على النظريات التي ترى الأدب ظاهرة فنية شكلية، فتوجه دراسة ثقافية من منظور ثقافي يكشف الأنساق المتسترة خلف بناء لغوي.

"وتبلورت معالم هذا المصطلح عام 1964، حيث شرع مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام (Birming Ram) بنشر صحيفة أوراق عمل الدراسات الثقافية، التي تناولتها وسائل الاعلام والثقافة الشعبية والمسائل الايديولوجية والأدب"[1]

ويرى عبد الله الغذامي في كتابه النقد الثقافي ان **"النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو احد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء."[2]**

"هو إذن نوع من علم العلل كما عند أهل مصطلح الحديث، وهو عندهم العلم الذي يبحث في عيوب الخطاب ويكشف عن سقطات من المتن أو في السند، مما يجعله ممارسة نقدية متطورة ودقيقة وصارمة ولاشك ان البحث في علل الخطاب يتطلب منهجا قادرا على تشريح النصوص واستخراج الأنساق المضمرة ورصد حركتها، وكما هي الدلالة اللغوية المزدوجة لكلمة (جميل)التي تعني(الشحم) مثلما تعني(الجمال) فإن في الثقافة أيضا جمالا من تحته شحم، وكما أن الشحم لذيذ وجذاب إلا أنه ضار وفتاك بالصحة البدنية"[3] إذن اهتم باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة ودراستها في جميع

---

[1] ارثر ايزابرجر، النقد الثقافي(تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسة)ص31.

[2] عبد الله الغذامي،النقد الثقافي المركز الثقافي العربي،ط3،2005،بيروت لبنان،84/83.

[3] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 2005، بيروت لبنان، ص84.

سياقاتها فهما وتفسيرا، وقد صاحب النقد الثقافي غموض لدى دعاته ورواده حول مفهومه والاضطراب في دلالاته وإجراءاته .

وتبلور مصطلح النقد الثقافي منهجيا مع الناقد الأمريكي فنسنت ليتش حيث طرح: **"مصطلح النقد الثقافي مسميا مشروعه النقدي بهذا الاسم تحديدا ويجعله رديفا لمصطلحي لما بعد الحداثة وما بعد البنيوية، حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب، وهذا ليس تغيرا في مادة البحث فحسب ولكنه أيضا تغير في منهج التحليل يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية دون ان يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي"**[1] نرى أن الأمريكي ليتش جعل لمشروعه النقدي اسما تحت مصطلح النقد الثقافي فهو يرى انه مرتبط بما بعد الحداثة، وقد اهتم بالخطاب وغير في مادة البحث ومنهج التحليل من التحليل الأدبي النقدي إلى التحليل الذي يستخدم فيه المعطيات النظرية والمنهجية.

وقام النقد الثقافي عند ليتش على ثلاث خصائص وهي:

أ- لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت اطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة.

ب_ من سنن هذا النقد ان يستفيد من مناهج التحليل العرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية.

ج_ان الذي يميز النقد الثقافي الما بعد بنيوي هو تركيزه الجوهري على انظمة الخطاب وأنظمة الافصاح النصوصي، كما هي لدى بارت وديريدا وفوكو خاصة في مقولة ديريدا ان لاشيء خارج النص، وهي مقولة يصفها ليتش بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي الما بعد بنيوي[2] .

بناءا على ما سبق نستنتج أن النقد الثقافي يسعى إلى تأسيس منهجية تدعو للانفتاح على ما هو غير جمالي، وهو من أهم الظواهر الأدبية لما بعد الحداثة.

7_ بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية:

---

[1] المرجع نفسه، ص31، 32.

[2] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي(قراءة في الانساق الثقافية العربية)، ص32.

لقد تطرقنا سابقا إلى تعريف النقد الثقافي، الذي بدوره يعد من أهم التوجهات النقدية التي عرفها العالم الغربي لما بعد الحداثة وتميزه بتقديم تقييمات وتحليلات عميقة للأعمال الفنية والأدبية، "**فهو في أبسط مفاهيمه ليس بحثا أو تنقيبا في الثقافة، إنما هو بحث في أنساقها المضمرة وفي مشكلاتها المركبة والمعقدة وبذا فهو نشاط إنساني يحاول دراسة الممارسات الثقافية في أوجهها الاجتماعية والذاتية، بل في موضوعاتها كافة بما في ذلك تموضعها النصوصي.**"[1]

وعليه فإن النقد الثقافي هو الذي يدرس الأدب الفني والجمالي وهو ربط للأدب بسياقه الثقافي المضمر، ومنه فهو يتعامل مع النصوص على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس السياقات الثقافية، التاريخية، الأخلاقية، الاجتماعية، والسياسية...

وطبعا لا يمكننا الحديث عن النقد الثقافي دون أن نتكلم عن الدراسات الثقافية، فبنطق المصطلح لأول مرة يتبادر إلى ذهننا أنه مرتبط بتوجهات ثقافية عديدة، فمصطلح "دراسات" هو جمع مما يبين لنا وجود عدة منطلقات بحثية يشترك فيها العديد من الباحثين وهي ما تمثل نقطة التقاء بحوثهم وأعمالهم الثقافية والعلمية.

لقد شغلت الدراسات الثقافية منذ ظهورها اهتمام العديد من الباحثين في كل أنحاء العالم، وخلفت اراء ومفاهيم بين النقاد والفلاسفة وزاد انبهارهم بها لسرعة انتشارها في شتى حقول المعرفة واقتحامها للوسط النقدي.

"**وقد تركت الدراسات الثقافية مفعولا بارزا على مستوى الساحة الاجتماعية والأدبية والنقدية، من خلال ما خلفته من طروحات وأفكار تخص معالجة الظواهر الأدبية والإنسانية والاجتماعية ...وأسهمت في بروز العديد من الخطابات الهامشية المضادة لخطاب المركز، أهمها : النقد الثقافي وخطاب ما بعد الكولونيالية، والنقد النسوي والتاريخانية الجديدة والمادية الثقافية، التي تعد من افرازات النظرية النقدية المعاصرة.**"[2]

---

[1] سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1971، ص303.

[2] رويدي عدلان، ورقة بحثية الدراسات الثقافية النشأة والمفهوم، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، مجلة اشكالات، مجلد 7، عدد1، السنة 2018، رقم العدد التسلسلي، ص151.

"إن الدراسات الثقافية مزيج من النظريات والمقاربات والنماذج والأسئلة التي توظف لقراءة الممارسات الخطابية وأنماط القوى الاجتماعية والثقافية وارتباطها بالهويات والجماعات."[1]

والمقصود هنا أنها ليست منعدمة الأصول وإنما منعدمة الأصل الواحد فهي لها مشارب علمية عديدة، ويرى سمير الخليل "**إن الدراسات الثقافية اليوم تغطي مساحة عريضة من الاهتمام، وقد حظيت بشيوع واسع في التسعينات مع أنها قد ابتدأت منذ عام 1964، كبداية رسمية منذ أن تأسست مجموعة بيرمنجهام."[2]**

وهذا راجع لأنها "**رفضت التقييد بالحدود التي يرسمها البنائيون في فهمهم للنص، فقد كسرت الدراسات الثقافية مركزية النص وحولت الانتباه إلى مفهوم الخطاب."[3]**

والغاية النهائية للدراسات الثقافية حسب سمير الخليل "**هو الوقوف على عمليات انتاج الثقافة وتوزيعها واستهلاكها."[4]**

ومنه فالدراسات الثقافية تهدف إلى فهم الثقافة بشكل شامل وتحليل تأثيراتها على المجتمع والأفراد.

وما يمكن قوله على العموم أنه لا يمكننا التطرق إلى تعريف شامل للدراسات الثقافية، فكما أسلفنا سابقا أنها مرتبطة بعدة توجهات علمية وثقافية مما يؤدي بنا إلى الغوص والضياع في ثنايا المصطلح.

ولكننا نرى أن دائرة الدراسات الثقافية أوسع من دائرة النقد الثقافي، ويتبين لنا ذلك في أن الدراسات الثقافية تشمل كل أنواع الثقافات سواء كانت ثقافة نخبوية أو ثقافة شعبية، أما النقد الثقافي فيهتم بدراسة النصوص دراسة ثقافية.

---

[1] ادريس الخضراوي، الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2012، ص46.

[2] سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ص166.

[3] نور الدين هميسي، مطبوعة دعم بيداغوجي لمقياس الدراسات الثقافية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، 2022، ص06.

[4] سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، المرجع السابق، ص165.

والنقد الثقافي يغوص داخل الخطاب أو النص لاستخراج الأنساق المضمرة فهو يتعامل مع الما ورائي، بينما الدراسات الثقافية تتعامل مع ما هو ظاهري في النص ومع أنساق مرئية ثقافية.

ويرى سمير الخليل أنه "**هناك أدوات شبه إجرائية في النقد الثقافي وهو يبحث عن النسق المضمر والعيوب النسقية لخصها عبد الله الغذامي بالجملة الثقافية والتورية الثقافية وغيرها، وذلك لا وجود له في الدراسات الثقافية.**"[1]

الدراسات الثقافية هي الأولى ظهورا، والأكثر شيوعا، والأكثر اتساعا من حيث التوجهات العلمية الثقافية ومن حيث الاهتمام، مقارنة بالنقد الثقافي الذي ظهر مزامنا للتغيرات المقرونة بما بعد الحداثة.

"**التاريخ في النقد الثقافي حالة متجددة ممتدة من الماضي إلى الحاضر وليس مجرد حقائق ووثائق ووقائع جامدة، وهذا واحد من أسباب التداخل أيضا**"[2].

[1] سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ص167.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصـــل الثاني:

الأنساق الثقافية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال

1_ثنائية الشرق والغرب:

أ_ ثنائية الغرب:

حظي مفهوم الأخر باهتمام بالغ من طرف العلماء مقارنة بمفهوم الشرق، ومنه ظهرت الكثير من المفاهيم المختلفة لهذا المصطلح وتعددت حسب اختلاف وجهات النظر البحثية، فنجد ضياء الدين ساردار على سبيل المثال أنه عرف الغرب في كتابه الاستشراق "صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية "فيقول" **ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر كان الغرب مكونا من مساحة جغرافية هائلة يطلق عليها (أوروبا) و(الغرب) إن لمصطلح (أوروبا)تاريخا ممتدا يعود إلى أيام الإغريق والرومان، وقد كان شائعا ومتداولا لفترة طويلة من الزمن."**[1]

ومن ثم "**أخذ الغرب الدور السياسي الأكثر بروزا، ومنه بدأ يضم الولايات المتحدة التي كان يشار إليها بلفظ "العالم الجديد"**[2] ومنه نرى أن الغرب منذ القدم وهو في توسع مستمر وكان ومازال يضم إليه بلدان عديدة ومن خلال توسعه هذا يصبح الأكثر قوة، فإدوارد سعيد يرى في كتابه الاستشراق أن "**من المحاور الأساسية في الجغرافيا الخيالية الأوروبية، فالجانب الأول هو الحد الذي يفصل بين قارتين، فأوروبا قوية تستطيع التعبير عن نفسها واسيا مهزومة وبعيدة"**[3] فتوسع الغرب وانحياز البلدان له جعله قوي سياسيا واقتصاديا وثقافيا ومنه "**أصبح مفهوم الحضارة الغربية من ثم هو المقياس الذي نقيس به الثقافات والحضارات الشرقية، بدلا من مفهوم العالم المسيحي، لقد وضع التصنيف المفهومي للغرب مقابل مفهوم الشرق، ودل الشرق على كل ما ليس غربا وعلى بعض ما رغب فيه الغرب حقا."**[4]

---

[1] ضياء الدين سردار، الاستشراق "صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، ص23.

[2] المرجع نفسه، ص23، 24.

[3] ادوارد سعيد، الاستشراق، تر، د، محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط الاولى 2006، ص120.

[4] ضياء الدين ساردار، الاستشراق "صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية،المرجع السابق، ص 24.

مصطفى سعيد الطفل النابغة كان من بين أوائل صفه ثبت ذلك في قوله : "**سرعان ما اكتشفت في عقلي مقدرة عجيبة على الحفظ والاستيعاب والفهم...تعلمت الكتابة في أسبوعين.**"[1] هذا ما جعله محط أنظار كل من الأساتذة والتلاميذ "**لم أبالي بدهشة المعلمين وإعجاب رفقائي أو حسدهم، كان المعلمون ينظرون إلي كأنني معجزة.**"[2] إن النجاح الذي حققه الطفل الصغير في المدرسة الابتدائية والمدرسة الوسطى على غرار أقرانه من التلاميذ سمح له بحجز مكان للدراسة في أحسن حال مما هو عليه ومهد له الطريق للسفر خارج البلاد "**وبعد ثلاثة أعوام، قال لي ناظر المدرسة، وكان إنجليزيا: هذا البلد لا يتسع لذهنك، فسافر ...ليس عندنا شيء لنعطيك إياه بعد الان.**"[3] بعد ذلك سافر إلى القاهرة، فرحلة سعيد إلى القاهرة تعتبر محورا مهما في حياته، فسفر طفل ذو اثنى عشرة سنة إلى بلد غريب ولوحده لأول مرة يعد إنجازا يقول: "**جلست في القطار قبالة رجل في مسوح ...ابتسم في وجهي وتحدث معي باللغة الانجليزية فأجبته أذكر تماما أن الدهشة بدت على وجهه واتسعت حدقتا عينيه أول ما سمع صوتي، دقق النظر في وجهي وقال لي : كم سنك؟"، فقلت له خمس عشرة كنت في الواقع في الثانية عشرة لكني خفت أن يستخف بي، فقال الرجل، إلى أين تقصد ...قلت: القاهرة فقال : لوحدك؟...قلت: اني أحب السفر وحدي، مما أخاف.**"[4] نرى هنا أن شخصية الطفل سعيد شخصية قوية واثقة من نفسها رغم صغر سنها.

وصل القاهرة، فوجد من استقبله وضمه إلى جوف داره، كان ذلك مستر روبنسن وزوجته، لقد كانا "مستر روبنسن وزوجته" السند الأول لسعيد حيث معهما لم يحس بأنه وحيد في القاهرة، وعاملوه معاملة الابن الحقيقي حيث يقول : "**لم يكن لهما أطفال.**"[5]

---

[1] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العين للنشر 1425هـ، 2004م، ص 23.

[2] المصدر نفسه، ص 24.

[3] المصدر نفسه، ص 24.

[4] الصدر نفسه، ص 25، 26.

[5] المصدر نفسه، ص 27 .

وأيضا : "**وتحنو علي كما تحنو أم على ابنها**"[1] أحس سعيد اتجاه زوجة مستر روبنسن بمزيج من الرغبة الجنسية وبين شوق وعطف الوالدة التي تركها خلفه في السودان فقال عنها: "**وأحسست كأن القاهرة ذلك الجبل الكبير الذي حملني اليه بعيري، امرأة أوروبية مثل مستر روبنسن تماما تطوقني ذراعاها، يملأ عطرها ورائحة جسدها أنفي، كان لون عينيها كلون القاهرة في ذهني رماديا أخضر يتحول بالليل إلى وميض كوميض اليراعة.**"[2]

وعندما حكم عليه بالسجن لم يجد غيرها تسانده، فقال في ذلك : "**ويوم حكموا علي في الأولد بيلى بالسجن سبع سنوات لم أجد صدرا غير صدرها أسند رأسي عليه، ربتت على رأسي وقالت : لا تبك يا طفلي العزيز** "[3] يودع مصطفى سعيد القاهرة تاركا وراءه ما كان له بمثابة العائلة، "...**ورأيتها من بعيد وهي تلوح بمنديلها ثم تجفف به الدمع من عينيها، وإلى جوارها زوجها، واضعا يديه على خصره وأكاد أرى، حتى من ذلك البعد صفاء عينيه الزرقاوين.**"[4]

ودع مصطفى سعيد القاهرة وما فيها متجها هذه المرة إلى بلد مختلف كل الاختلاف عن بلده الأم والقاهرة أيضا، لغويا ودينيا وأخلاقيا وحتى حضاريا.

كانت الوجهة هذه المرة إلى لندن غير أن مصطفى سعيد لم يكن حزينا على ما تركه وراءه في القاهرة بل كان متحمسا للوصول إلى لندن واكتشافها فيقول : "**لم أكن حزينا، كان كل همي أن أصل لندن، جبلا اخر أكبر من القاهرة** "[5] فهو كان يرى لندن كمكان للحلم والفرص المتنوعة في الحياة السعيدة وأيضا كمكان للتمييز، وتتجلى هذه الفكرة عند جل الشباب والمراهقين ورغبتهم في الهجرة من بلدهم نحو الغرب لتحقيق الأحلام المقيدة في بلدهم على حسب وجهة نظرهم، يصل مصطفى سعيد إلى لندن ويتعجب من مناظرها حيث واجه شعورا بالانبهار والدهشة تجاه الحياة الجديدة والأماكن والثقافة المختلفة فيقول : "**وأنظر**

---

[1] الطيب صالح،المصدر السابق، ص 27 .

[2] المصدر نفسه، ص 26.

[3] المصدر نفسه، ص 26، 27.

[4] المصدر نفسه، ص 27.

[5] المصدر نفسه، نفس الصفحة .

إلى اليسار واليمين إلى الخضرة الداكنة، والقرى السكسونية القائمة على حواف التلال، سقوف البيوت حمراء محدودبة كظهور البقر، وثمة غلالة شفافة من الضباب، منشورة فوق الوديان، ما أكثر الماء هنا وما أرحب الخضرة، وكل تلك الألوان ورائحة المكان غريبة، كرائحة مستر روبنسن، والأصوات لها وقع نظيف في أذني، مثل حفيف أجنحة الطير"[1] هكذا كان اندهاش مصطفى سعيد أثناء وصوله لندن، وقد كانت هذه بداية مرحلة استقراره في لندن، ومن ثم ينخرط مصطفى سعيد مع الحياة الغربية، ويعيش مع مجتمع غير مألوف بالنسبة له، فلا عادات ولا تقاليد ولا أعراف تحكمه إنه مجتمع متحرر كليا كل فرد فيه مسؤول عن نفسه، لا وجود لعائلات تطلع على أبنائها ولا أبناء بحاجة إلى عائلاتهم، كل يجري وراء مصلحته الخاصة، فالحرية شعار المجتمع الغربي المتحرر من كل القيود الموجودة في المجتمع الشرقي.

يجد مصطفى سعيد حريته التامة في المجتمع الغربي الذي أصبح يخدم مصالحه الشخصية، المتمثلة في التنفيس عن مكبوتاته، فقد كان يعاني من الحضارة الغربية وما فعلته إبان الاستعمار مع بلده السودان، فمصطفى سعيد كان يحمل حقد وكره داخله رغم الانبهار الذي عاشه أثناء وصوله إلى لندن، وقد اختار طريقته الخاصة في إظهار كرهه والتنفيس عن مكبوتاته تجاه المجتمع الغربي، فحياة مصطفى سعيد كانت عبارة مجموع أو سلسلة من العلاقات الجنسية وهي ما تعبر عن رغبته العميقة وعن الحقد المتغلغل في قلبه بسبب الغزو الغربي لبلده قديما، ويمكن ربط هذا كرد فعل أو انتقام لبلده على ما ألحق به فاختار مصطفى سعيد الجنس كأداة لإلحاق العار والإهانة بالغرب ورجاله مستهدفا نسائه، ويقول مصطفى سعيد عن الغرب الذي احتل أرضه "**إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوروبي والأكبر الذي لم يشهد العالم مثيله من قبل في السوم وفي فردان، جرثومة مرض فتاك أصابهم منذ أكثر من ألف عام**" [2]وقد أشار هنا إلى القتل والعلاقات الجنسية التي نقلها الغرب إلى العرب وأصبحت عادة العربي حيث يهان ويغضب، وقد أدت به إلى

---

[1] الطيب صالح، المصدر السابق، ص 28 .

[2] الطيب صالح، المصدر نفسه، ص 87 .

القتل الذي لم يكن ضمن مخططاته في الانتقام، حيث يقول"**إنني جئتكم غازيا في عقر داركم، قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ، أنا لست عطيل، عطيل كان أكذوبة**"[1] فهنا مصطفى سعيد صرح للغرب بأنه اتاهم غازيا بعمله ومنتقما لأنهم احتلوا بلاده.

تعد شخصية مصطفى سعيد شخصية مركزية في الرواية مثلت علاقة الأنا بالآخر، وكيفية تأثيرها وتأثرها فيه، فكما أثر مصطفى سعيد في الغرب الأوروبي بانتقامه وغزوه من خلال نسائه، فالغرب أيضا أثر فيه، فقتل فيه المشاعر والأحاسيس وأنساه في العادات والتقاليد الموجودة في المجتمع الشرقي، فمصالحه وشهواته هي من كانت توجهه وكان يحاول الوصول إليها بشتى الطرق، فالجري وراء المصالح والحرية جعل قلبه ميتا "**مصطفى سعيد ياحضارات المحلفين إنسان نبيل استوعب عقله حضارة الغرب ولكنها حطمت قلبه**"[2] فالتأثر هنا كان سلبيا بالنسبة لمصطفى سعيد، وهذا ما جعله يتعامل مع النساء الغربيات بطريقة وحشية، فقد كانوا بالنسبة له فرائس صيد لا غير، وكل يوم صيد وفريسة جديدة دون النظر إلى التي كانت قبلها ودون الاكتراث أو الاهتمام إلى مشاعرهن وأحاسيسهن.

وأيضا الانتقال من مجتمع شرقي له عادات وتقاليد تحكمه إلى مجتمع غربي متحرر يشجع على الاهتمام بالمصالح الخاصة لكل فرد، وحب الذات في المرتبة الأولى لا وجود للإنسانية والمودة، مما أدى بمصطفى سعيد إلى الضياع بين حضارتين مختلفتين كل الاختلاف عن بعضهما البعض وهنا مثلت شخصية مصطفى سعيد التضارب والصراع الحضاري بين شرق متشدد وغرب متحرر.

ونجد أيضا تأثير حضارة الغرب على شخصية مصطفى سعيد، أنها دخلت إلى بيته السوداني، فقد جعل مصطفى سعيد بيته مثل البيوت الأوروبية، حيث يقول الراوي مندهشا: "**يا إلهي الحيطان الأربعة من الأرض حتى السقف، رفوف، رفوف، كتب كتب...أرضية الغرفة كلها مغطاة بأبسطة فارسية...مدفأة إنجليزية ...وفوقها مظلة من النحاس وأمامها مربع مبلط بالرخام الأخضر ...كرسيان فكتوريان مكسوان بقماش من الحرير المشجر**

[1] الطيب صالح، المصدر السابق، ص 87 .

[2] المصدر نفسه، ص 33 .

بينهما منضدة مستديرة عليها كتب ودفاتر ...كتب الاقتصاد والتاريخ والأدب، علم الحيوان، جيولوجيا، رياضيات، فلك...كتب سمعت بها وكتب لم أسمع بها ...السقف من خشب البلوط، وفي الوسط قوس يفصل الحجرة نصفين...أتصدر طاولة مستديرة لا أدري من أي خشب هي، ولكن سطحا داكنا يلمع، وعلى كل من الجانبين خمسة كراس مبطنة بالجلد، وإلى اليمين كنبة ذات مسند واحد، مكسوة بمخمل أزرق، وعليها وسائد من ...لمستها بيدي، نعم من ريش النعام..."[1] فتأثر مصطفى سعيد بالحضارة الغربية لم يتمثل في عاداته وتقاليده وفقط بل اقتحم أفكاره ودخل بيته الأوروبي أولا ثم تتبعه إلى بلده السودان حيث جمل بيته في السودان مثل البيوت الأوروبية وهذا ليبقى ذكرى لمدى تأثره بالحضارة الغربية وفنها وآدابها.

ب_ ثنائية الشرق:

جاء في المعجم الوسيط لفظ" **(الشَّرق) : الشمس وجهة شروق الشمس وجاء ايضا لفظة (المشرق) أي : جهة شروق الشمس والبلاد الإسلامية في شرق الجزيرة العربية وهو جمع مشارق "**[2].

والشرق كمصطلح من الناحية الجغرافية والتاريخية هو كل ما يضم البلاد العربية و الإسلامية، أما من الناحية الحضارية فهو يضم حضارات عريقة، وهو مهد الرسالات السماوية (الإسلام، النصرانية، اليهودية) و يعرفه إدوارد سعيد في كتابه الإستشراق حيث قال بأنه : "**مجموعة من الأقطار المنتشرة في آسيا وبعض الأقطار في إفريقيا، مما يطل على حوض البحر الأبيض المتوسط وبعض من أجزاء أوروبا الشرقية. "**[3]

---

[1] الطيب صالح، المصدر السابق، ص 123، 125.

[2] المعجم الوسيط، ص 480.

[3] إدوارد سعيد، الاستشراق ، ترجمة كمال ابو ديب، مؤسسة الابحاث العربية، لبنان، طبعة 2، 198'، ص 101.

وورد مفهوم الشرق في القرآن الكريم بمعنى المشرق أيضا، يقول تعالى: "**رب المشرقين ورب المغربين**" سورة الرحمن الآية 17 ، وعرفه ضياء الدين سردار في كتابه صورة الشرق في الآداب و المعارف الغربية فقال : "**الشرق، أي الأرض التي تقع شرق الغرب** "[1] . وجاء أيضا: "**لقد تشكل الشرق، وهو مازال يتشكل، من الحضارات العظيمة التي تقع شرق الغرب (الإسلام، الصين، الهند و اليابان)**"[2].

لقد تعرض الشرق لعدة إقصاءات **من** طرف الغرب بحيث لجأ هذا الأخير إلى الولوج لعمليات العزل و الإقصاء، فجاء ذلك في كتاب الدكتور محمد عابد الجابري (مسألة الهوية العروبة و الإسلام ...والغرب) فيقول : "**إن الشرق في الخطاب الأوروبي مكان ثابت، و النسبة فيه تقع داخله و تتحدد بالعلاقة مع أوروبا، فهذا شرق أوسط ، وذاك شرق أقصى، وهذا التثبيت المكاني للشرق هو عملية إقصاء له، إنه هناك دائما ..في مقابل (الغرب) بالتالي فتثبيته هناك ضروري لتثبيت الغرب هنا في أوروبا و أمريكا** "[3].

ومنه نرى أن الغرب يريد إثبات مكانته و تفوقه و انتشار اسمه ومجموع ثقافته على حساب الشرق، فبإقصاء الشرق يظهر الغرب و يعلو وهنا ندرك أن الشرق المنافس الأول للغرب، و في هذا يرى إدوارد سعيد في كتابه الإستشراق عن نظرة الغرب للشرق الأدنى فيقول: "**وأنظر كيف أصبح الشرق، و خصوصا الشرق الأدنى، معروفا في الغرب باعتباره الصورة المضادة العظمى والمكملة للغرب منذ القدم** "[4] فالشرق أصبح الصورة المخفية للغرب التي يجب هدمها للحفاظ على مكانة الغرب، فجاء أيضا في قول إدوارد سعيد : "**كان تصوير أوروبا للمسلم العثماني أو العربي يمثل دائما محاولة للتحكم في الشرق المهيب، ويصدق ذلك إلى حد ما على أساليب العلماء المستشرقين المحدثين،**

---

[1] ضياء الدين سردار، صورة الشرق في الآداب و المعارف الغربية، ترجمة فخري صالح، مراجعة، د، أحمد خريس، ط1، 1433هـ ، 2012م، أبوظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2011، ص21.

[2] المرجع نفسه ص 22.

[3] محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة والإسلام ...والغرب، بناية "بيت النهضة" شارع البصرة .ص.ب، 2001، 113، الحمراء، بيروت، 2407، 2034، لبنان، ص 129.

[4] إدوارد سعيد، الإستشراق، ط1، 2006، ص 122.

فليس موضوعهم هو الشرق في ذاته بقدر ما، فإذا تسنت معرفته أصبح أقل إثارة للخوف لدى جمهور القراء الغربيين "[1].

أما الشرق هنا في روايتنا رواية موسم الهجرة إلى الشمال فهو يمثل بلد بطل الرواية مصطفى سعيد (و هو عكس الغرب أوروبا)، من خلال معرفتنا البلد الأم للبطل يمكننا تفسير و تحليل شخصيته و أفعاله استنادا على ماعاشه في طفولته وتأثره ببلده الأم .

يقول مصطفى سعيد : "**إنها قصة طويلة، ولدت في الخرطوم نشأة يتيما، مات أبي قبل أن أولد، لم يكن لي إخوة، كنت أنا و أمي و لم يكن لنا أهل** "[2] من خلال قوله هذا يمكننا رؤية شخصية مصطفى سعيد الحزينة و الوحيدة و التي نشأت مهدمة بعض الشيء ومنه تتشكل عقدة نفسية لدى طفل صغير مما يشعره بالغربة في بلاده و بين أبناء وطنه، وعدم تولد أي شعور عاطفي و أخوي وحتى في علاقته بأمه كانت جامدة بعض الشيء، ليس كعلاقة أي أم بابنها، فيقول سعيد في هذا : "**كانت كأنها شخص غريب جمعتني به الظروف صدفة في الطريق، لعلني كنت مخلوقا غريبا، أو لعل أمي كانت غريبة...لم نكن نتحدث كثيرا.**"[3] فعلاقته بأمه تعكس نفسيته وعلاقته بوطنه، وهذا ما يفسر وجود عقد نفسية في حياة سعيد أكثر فقوله : "**كنت أقرأ وأنام، أخرج وأدخل...إلا أنني منذ صغري كنت أحس بأنني مختلف ...لا أتأثر بشيء، لا أبكي إذا ضربت ...لا أتألم بما يتألم به الباقون.**"[4]

واضطرابه ينعكس أيضا أثناء وداعه لأمه وهو مسافر ولا يعرف موعد العودة أقريب هو أم بعيد، فلم تتحرك أحاسيسه أي منهما أنذاك، حيث قال: "**كان ذلك وداعنا، لا دموع ولا قبل ولا ضوضاء، مخلوقان سارا من الطريق معا، ثم سلكا كل منهما سبيله.**"[5]

تتحرك أحداث الرواية بعض الشيء إلى أن يصل مصطفى سعيد إلى القاهرة ليلتقي بمن غمره بالحب والحنان ومن كان بمثابة الأبوين له وهو الطفل الصغير.

---

[1] إدوارد سعيد، المرجع نفسه، ص 125.

[2] الطيب صالح ، المصدر السابق، ص 21.

[3] المصدر نفسه، ص21.

[4] الطيب صالح، المصدر السابق، ص22.

[5] المصدر نفسه، ص25.

إن الصراع الحضاري بين الأنا والآخر ظل قائما في شخصية مصطفى سعيد، فانتقاله بين ثقافتين مختلفتين أدى بها إلى فقدان مركزية ذاته وضياعه بين حضارة غربية وعربية، فمصطفى سعيد ظل في تناقض مستمر بين اتصال مرغوب بالغرب وانفصال عنه، ومثلت قصته بوصفها رمزا للمجتمع الشرقي الباحث عن هويته الضائعة وحضارته الغائبة فرحلته إلى لندن غرست فيه قيم المجتمع الغربي وطمست كل ما هو شرقي.

وبعد سبع سنوات من السجن بعقوبة القتل لزوجته البريطانية جين موريس، قرر مصطفى سعيد أخيرا العودة لأصوله وبلده السودان بعد كسر جناح قلبه من طرف الإنجليز وما عاشه في المجتمع الغربي، فبقدر ما أخذ العلم منهم وكونه أصبح أستاذا جامعيا ونيله شهادة الدكتوراه في أرقى الجامعات إلا أنه خرج مكسور الخاطر والبال، فالشمال يعطي العلم والثقافة ولكن يسلب المشاعر ويحطم القلب، وبقدر ما أعطى من علم يترك اثار نفسية تهدم الشخصية، فكما جاء في قول بروفيسوره ماكسول فستر كين أثناء محاكمة مصطفى سعيد مدافعا عنه فقال : "**مصطفى سعيد يا حضارات المحلفين إنسان نبيل، استوعب عقله حضارة الغرب، ولكنها حطمت قلبه.** "[1] فترك وراءه تلك الحرب التي كان يشنها على الغرب، وتلك الأحقاد والضغائن التي كانت في قلبه بسبب الاستعمار البريطاني للسودان، بعد ما تسبب في انتحار الكثير من حبيباته وقتله لزوجته : "**تسبب في انتحار حبيباته، وحطم امرأة متزوجة، وقتل زوجته...انصبت حياته كلها على طلب اللذة .**"[2]

عاد أصوله واستقر في قرية بالقرب من نهر النيل بعد رحلة سنوات عديدة ليعيش حياة هادئة عادية، ولكنه لم يعرف أهل القرية بشخصيته .

فاستمر في إخفاء شخصيته على أهل القرية وإخفاء ماضيه عليهم، فلم يحكي لهم قط على ما مر به أو ما كان عليه في الماضي "...**رجل في حاله، لا يعلمون عنه الكثير.**"[3] وأيضا "**أنه لا يعلم عنه شيء سوى أنه من نواحي الخرطوم.** "[4]

---

[1] المصدر نفسه، ص33.

[2] الطيب صالح، المصدر السابق، ص32.

[3] المصدر نفسه، ص06.

[4] المصدر نفسه، ص09.

أصبح مصطفى سعيد رجلا صالحا محبوب عند أهل قريته، مزارعا مجتهدا له كلمة بين أبناء وطنه والكل يحترمه، "**إن مصطفى سعيد طول إقامته في البلدة لم يبدو منه شيء منفر، وإنه يحضر صلاة الجمعة في المسجد بانتظام، وإنه يسارع بذراعه وقدحه في الأفراح والأتراح.** "[1]

اشترى مصطفى سعيد قطعة أرض على نهر النيل وبنى بيتا وبجانبه مزرعة، وتزوج إحدى بنات القرية "حسنة بنت محمود" ورزق بولدين .

اختلفت شخصية مصطفى سعيد بين الغرب والشرق فتحول من رجل فاسق يتسكع مع النساء ويكذب عليهم، إلى رجل صالح ذو شأن عظيم يقضي معظم وقته مزارعا في حقله، وفي المسجد، زود قريته بتمويله لمشروع توزيع الماء في الحقول، وهذا راجع لطبيعة المكان المتواجد فيه وحسب نوع عقلية البشر من حوله، فالمجتمع الشرقي مجتمع محافظ، أناسه نبلاء، هذا ما أثر على مصطفى سعيد بالإيجاب على عكس المجتمع الغربي الذي جعل منه رجلا فاسقا مجرما جامد القلب والمشاعر متوترا في حياته، فمعاملة الغرب لمصطفى كونه شرقيا كانت استغلالية مسيطرة وكانت ذات نظرة دونية مستحقرة، هذا ما أدى بمصطفى ليعامل الغرب بالمثل وأن ينتقم منهم بطريقة غير مباشرة عن طريق نسائهم "**كان زير نساء خلق لنفسه أسطورة من نوع ما .**"[2]

فتغير مصطفى سعيد إلى الأحسن جعله يحظى بالتقدير والاحترام اللذان لم يحظى بهم من قبل، لقد استفادت القرية من علم وثقافة مصطفى في تسيير حقولهم، وكان على رأس أعمالهم الزراعية والكل يستمع لكلامه جيدا.

"**كانوا يبحثون أمرا يتعلق بتوزيع الماء على الحقول، ويبدو أن بعض الناس، ومنهم من هو عضو في اللجنة، كانوا يفتحون الماء في حقولهم قبل الموعد المحدد لهم، واحتد النقاش و تصايحوا بعضهم على بعض، وفجأة رأيت مصطفى يهب واقفا،هدأ اللغط واستمعوا إليه باحترام زائد، وقال مصطفى إن الخضوع للنظام في المشروع أمر مهم وإلا**

---

[1] المصدر نفسه، ص10.

[2] الطيب صالح ،المصدر السابق، ص 54.

اختلطت الأمور و سادت الفوضى، وأن على أعضاء اللجنة الخاصة أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم، فإذا خالفوا القانون عوقبوا كبقية الناس."[1]

إن الهدوء الذي عم في القاعة بمجرد وقوف مصطفى دلالة على مكانته، ومعرفة الناس بعلمه و ثقافته ورزانة عقله، وأنه يريد لهم الخير و الحسنى، فقد صرح بحبه للبلد وقال : "**لا أحب لهذا البلد و أهله إلا الخير** "[2] .

و الثقة التي كان يحملها أهل القرية نحو مصطفى سعيد تجسدت في رضاهم حول قراره أثناء الاجتماع، " **و لما** فرغ من **كلامه هز أغلب أعضاء** اللجنة **رؤسهم استحسانا**"[3] فهذا التقدير و الاحترام وكل الثقة بكلامه، راجع بطبيعة الحال إلى حسن أخلاقه و حسن معاشرته لأهل القرية، فرغم غموضه وعمق شخصيته أو بالأحرى كان مجهولا عند الكثير من أهل القرية مقابلا لسلوكاته الحميدة، وعدم ارتكابه لأي فعل غريب يشعر أهل القرية بالسوء أو الخوف منه، وقد كان له فضل كبير في إدارة عدة مشاريع عمت بالفائدة على القرية و أهلها .

تبين لنا مدى تأثير الحضارة الغربية و الحضارة الشرقية على شخصية مصطفى سعيد و كيف تمثلت كل منهم على حسب زمن ومكان تواجد الشخصية، فمصطفى في الغرب عكس شخصية مصطفى في الشرق، وكأنها شخصيتان مختلفتان تماما .

مما لا شك فيه أن عودة مصطفى سعيد إلى بلده كانت بمثابة النجاة أو الخلاص من الغربة التي فقد على إثرها الطمأنينة و دخل في دوامة القلق و التوتر .

بعد رجوعه التقى مع الراوي بشكل مفاجئ الذي كان أيضا مغتربا عن بلده ويملك تقريبا نفس قصة مصطفى سعيد، وصراعه الحضاري بين انتمائه للشرق وتأثره بالغرب، فالغربة التي أصابت الراوي في إنجلترا دفعته إلى الحنين و العودة إلى الوطن، محافظا على قيمه الشرقية و شخصيته السودانية مع القليل من لمسات الغرب .

---

[1] الطيب صالح، المصدر نفسه، ص 14.

[2] المصدر نفسه، ص 19.

[3] المصدر نفسه، ص 14.

أما غربة مصطفى سعيد، فقد رحل إلى القاهرة لأنه أحس بالغربة في بلده، فأصابته عدوى الرحيل فسافر إلى لندن ونال الشهادة التي أراد إثبات نفسه بها.

وكما نرى أن الراوي بقي مجهولا لنا من خلال الرواية، وأن شخصيته تتماثل مع شخصية مصطفى سعيد، فهم يشتركان في نفس الغربة، ونفس الشهادة الدراسية (الدكتوراه)، و يمكن القول أن شخصية الراوي هي الوجه الأخر لشخصية مصطفى سعيد، من خلال عودة كل منهم إلى الوطن بعد سبع سنوات، فالراوي يقول : "**عدت إلى أهلي يا سادتي بعد غيبة طويلة، سبعة أعوام على وجه التحديد كنت خلالها أتعلم في أوروبا**".[1]

ومثلها سبع سنوات قضاها مصطفى في السجن قبل عودته إلى الوطن فيقول: "**يوم حكموا علي في الأولد بيلى بالسجن سبع سنوات**"[2].

عاد كل منهم يحمل في طياته ما خلفته فيه الحضارة الغربية، فمصطفى عاد ببرودة و هدوء، رغم أنه كان فرحا بذلك، فهو إنسان خال من شعور الفرح و السرور، كما قالت له مستر روبنسن: "**أنت سعيد إنسان خال تماما من المرح**"[3] متخليا عن شخصيته و مخفيها، عاد كرجل كبير ومزارع، غامض بعض الشئ لم يصرح لأحد عن ماضيه، غير أنه جاء من الخرطوم و لم يعبر عن فرحه إلا نادرا، على عكس الراوي الذي راح يسبح في التعبير عن شوقه لوطنه فقال "**عدت وبي شوق عظيم إلى أهلي في تلك القرية الصغيرة عند منحى النيل سبعة أعوام و أنا أحن إليهم و أحلم بهم، ولما جئتهم كانت لحظة عجيبة أن وجدتني حقيقة قائما بينهم**"[4] ويصف بما جاء في خاطره، و شعوره بالحنين إلى كل زاوية يراها و يتلمس ذكرياته فيها"**فراشي الذي أعرفه في الغرفة التي تشهد جدرانها على ترهات حياتي ...صوت الريح وهي تمر بالنخل... وسمعت هديل القمري، ونظرت إلى النخلة القائمة في فناء دارنا، فعلمت أن الحياة لا تزال بخير...فأحس بالطمأنينة،**

---

[1] الطيب صالح، المصدر السابق، ص05.

[2] المصدر نفسه، ص26، 27.

[3] الطيب صالح، المصدر السابق، ص26.

[4] المصدر نفسه، ص 05.

أحس أنني لست ريشة في مهب الريح، و لكنني مثل تلك النخلة، مخلوق له أصل، له جذور، له هدف."[1]

لقد أثارت شخصية مصطفى سعيد حب الإطلاع و الفضول في نفس الراوي، فاختلافه و غموضه بدا واضحا للراوي لحظة وصوله و استقباله من طرف أهل القرية و مصطفى بينهم حيث يقول : "**فجأة تذكرت وجها رأيته بين المستقبلين لم أعرفه، سألتهم عنه، ووصفته لهم، رجل ربعة القامة في نحو الخمسين، شعر رأسه كثيف مبيض، ليست له لحية وشاربه أصغر قليلا من شوارب الرجال في البلد، رجل وسيم "**[2] فمصطفى ظل عالقا في فكر الراوي لعدم دهشته بأوروبا التي عاد منها الراوي حينها، ولعدم سؤاله عن أي شئ فيها "**لكن مصطفى لم يقل شيئا، ظل يستمع في صمت، يبتسم أحيانا ابتسامة أذكر أنها كانت غامضة، مثل شخص يحدث نفسه "**[3].

لقد كان هذا اللقاء الأول بين كل من الراوي و مصطفى سعيد (دون كلام)، و بعدها سنحت الفرصة للراوي بأن يتعرف على مصطفى أكثر و يقيم حديث معه و كان ذلك أمام بيت الراوي، فيقول : "**كنت وحدي أقرأ وقت القيلولة ...سمعت نحنحة خارج البيت، فإذا هو مصطفى ...فقال: أرجو ألا أكون أيقضتك من نوم، لكنني قلت أجيئك بعينة من ثمر الحقل، تذوقه، كذلك أحب أن أتعرف إليك ...وقت الظهيرة ليس وقت زيارة أعذرني"**[4] تمثل هذا الحوار في اختلاط مشاعر الراوي بين دهشة في أدب مصطفى حيث قال: "**لم يغب عني أدبه الجم"**[5] وحسن جماله، وراح يتأمل فيه ويركز على كل جزء منه وتوالت لديه الكثير من الأسئلة و الفضول حول ماضيه و شخصيته الغامضة، "**ازدحمت أسئلة**

---

[1] المصدر نفسه، ص06 .

[2] المصدر نفسه، ص06 .

[3] المصدر نفسه، ص 08.

[4] الطيب صالح، المصدر السابق، ص10 .

[5] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

كثيرة في رأسي، من أين هو؟، ولماذا استقر في هذا البلد؟، و ما قصته ؟..."[1] **"إلى هذا الحد بلغ فضولي"**[2].

لقد تعددت لقاءات كل من الراوي و مصطفى سعيد، إلا أن التقيا عند محجوب في مجلس شراب، حينها أصر محجوب على مصطفى أن يشرب معهم، رفض في البداية و بعدها " **دفن قامته في المقعد ومد رجليه و أمسك الكأس بكلتى يديه"**[3] مع ذلك أطلق مصطفى العنان لشخصيته الغامضة ذات الثقافة الغربية و راح يقرأ شعرا إنجليزيا، يقول الراوي: "**فجأة سمعته يتلو شعرا إنجليزيا، بصوت واضح ونطق سليم، قرأ قصيدة وجدتها فيما بعد من بين قصائد عن الحرب العالمية الأولى"**[4]، مصطفى سعيد ظل غامضا و عميقا و الراوي حاول فك شفراته، إلى أن قرر مصطفى أن يعترف له بالحقيقة"**خفت أن تذهب و تتحدث إلى الآخرين، تقول لهم أنني لست الرجل الذي أزعم ...تعدني بشرفك لي بأنك لن تبوح لمخلوق بشيء مما سأحدثك به الليلة"**[5]، سرد مصطفى سعيد بعضا من حياته للراوي و عرض عليه برزمة من الأوراق الخاصة به، "**فتحت بعد ذلك جواز سفره، الاسم، المولد، البلد...المهنة"طالب"...صدر في القاهرة ثم في لندن عام 1929 ... فيه أختام فرنسية و ألمانية وصينية و دنيماركية"**[6] ، أصيب الراوي بالذهول مما رآه حينها و لكن كل شكوكه كانت في محلها و وصل أخيرا إلى فك شفرات الرجل الغامض الذي كان يعتبر هوسا له، ولكنه في نفس الوقت ظل يتساءل عن أسباب عزلته عن المجتمع و عن إخفائه لشخصيته رغم كونه عالم إقتصاد قدير .

اختفى بعدها مصطفى سعيد في ليلة من ليالي شهر يوليو، عندما فاض النيل إحدى فيضاناته التي تحدث مرة كل ثلاثين سنة، لم يظهر عن اختفائه شيء، هل مات غرقا؟

---

[1] المصدر نفسه، ص 12.

[2] المصدر نفسه، ص 15 .

[3] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[4] المصدر نفسه، ص16.

[5] الطيب صالح،المصدر السابق، ص19.

[6] المصدر نفسه، ص 19.

أم منتحرا؟ "**لكن الجثث التي حملها الموج إلى الشاطئ ذلك الأسبوع لم تكن بينها جثة مصطفى سعيد، و في النهاية أخلدوا إلى الرأي العام أنه لابد قد مات غرقا**"[1].

ظل الراوي يتخبط في صراع مع أفكاره التي لم تفارق ذهنه "**أفكار مزعجة، أن مصطفى سعيد لم يحدث أطلاقا**"[2]، و قد اعتراه شيء من الخوف أن يلاقي نفس مصير مصطفى سعيد المجهول، كونه لهما نفس بداية المشوار "**هل كان من المحتمل أن يحدث لي ما حدث لمصطفى سعيد؟، قال: إنه أكذوبة، فهل أنا أيضا أكذوبة؟**"[3].

مات مصطفى و لكنه لم يمت في ذهن الراوي "**مات مصطفى منذ عامين، ولكنني ما أفتأ أقابله من حين إلى أخر...جزء من عالمي، فكرة في ذهني، طيف لا يريد أن يمضي في حال سبيله**"[4] إن تلك الشكوك التي كانت حول مصطفى وبعد معرفة الراوي بالحقيقة ثم اختفاء مصطفى بعد الفيضانات زاد من توتر الراوي حول الشخصية الغامضة، ومما زاده شكا وفضولا تلك الرسالة المختومة بالشمع حيث يقول الراوي: "**والرسالة التي تركها في ظرف مختوم بالشمع الأحمر، متى كتبها؟إنني أترك زوجتي وولدي وكل مالي من متاع الدنيا في ذمتك ... وأنا أترك لك مفتاح غرفتي الخاصة لعلك تجد فيها ما تبحث عنه... لم يدخلها أحد غيري من قبل.**"[5] إن الرسالة التي تركها مصطفى للراوي أولا كانت بمثابة وصية على ماله وأولاده مما يؤكد لنا ثقة مصطفى بالراوي وأنه يراه مشابها له فلا أحد دخل تلك الغرفة المستطيلة غير مصطفى سعيد ومن بعده أمنها للراوي وثانيا قد رأى مصطفى سعيد فضول الراوي حوله فقد بسط له مهمة اكتشاف ما يبحث عنه بسرده لحكايته وثم ترك مفتاح غرفته السرية له، وثالثا فإن اختفاء مصطفى الذي خلده الرأي العام على أنه مات غرقا، جاءت هذه الرسالة لتثير شكوك الراوي أكثر على أنه لم يمت فقد جاء في نهاية الرسالة : "**لا أدري متى أذهب يا صديقي ولكنني أحس أن ساعة الرحيل قد أزفت، فوداعا**

---

[1] المصدر نفسه، ص44 .

[2] المصدر نفسه، ص44.

[3] المصدر نفسه، ص 46 .

[4] المصدر نفسه، ص47 .

[5] الطيب صالح، المصدر السابق، ص 60، 61.

"[1] لقد اختفى مصطفى وترك أسئلة كثيرة تطارد فكر الراوي "**لعل الإجابة في تلك الغرفة المستطيلة ذات النوافذ الخضراء ...هل اتوقع أن أجده جالسا على كرسي وحده في الظلام؟أم أتوقع ان أجده معلقا من رقبته بحبل يتدلى من السقف؟.**"[2]

إن إعطاء مصطفى سعيد مفتاح غرفته السرية، دليل يبين لنا استمرار دور مصطفى سعيد من خلال شخصية الراوي، فالراوي جاء في تواصل مستمر مع أولاد مصطفى سعيد فيقول : "**إنهما أمانة في عنقي، ومن الأسباب التي تحضرني هنا كل عام أن أتفقد أحوالهما**"[3] وأيضا تعلق الراوي بأرملة مصطفى سعيد الذي تحول إلى حب من طرف الراوي "**أيقنت حقيقة ستأخذ كثيرا من راحة بالي فيما بعد، إنني بشكل أو آخر أحب حسنة بنت محمود.**"[4] تزوجت أرملة مصطفى سعيد من عجوز يدعى ود الريس رغما عنها وكان الراوي معارضا للزواج لكن في تلك القرية "**المرأة للرجل والرجل رجل**"[5] بعدها قتلت ود الريس وقتلت نفسها، هذا ما جعل الراوي يولد من جديد ولكن هذه المرة يولد من الحقد"**إنه الحقد، أنا حاقد وطالب ثأر وغريمي في الداخل ولا بد من مواجهته**"[6] إن حسنة بنت محمود وموتها ولد في الراوي كره شديد نحو مصطفى، فدخل تلك الغرفة المستطيلة ليواجهه ويواجه حقده وغله"**وخرج من الظلام ...إنه غريمي، مصطفى سعيد...ووجدتني أقف أمام نفسي وجها لوجه، هذا ليس مصطفى سعيد إنها صورتي تعبس في وجهي من مرآة** "[7] هذا ما يبين لنا أن الراوي هو الوجه الآخر لمصطفى سعيد وأنه مكمل له واستمرار لدوره ولقد وجد الراوي قصيدة بخط يد مصطفى "**ولا بد أن مصطفى قضى ساعات طويلة يبحث عن الكلمة**

---

[1] المصدر نفسه، ص 60 .

[2] المصدر نفسه، ص 60.

[3] المصدر نفسه، ص 81 .

[4] المصدر نفسه، ص 95.

[5] الطيب صالح،المصدر السابق، ص 91.

[6] المصدر نفسه ، ص 121.

[7] المصدر نفسه، ص 122.

التي يستقيم بها الوزن ...ففكرت بعض دقائق ...شطبت البيت الأخير وكتبت محله "[1]إن الراوي يكمل ما تركه مصطفى سعيد وقال في ذلك : "**إنني أبتدأ من حيث انتهى مصطفى سعيد."**[2]

كما كان مصطفى حاقدا على الإنجليز وأراد الانتقام فقد أكمل مهمته وانتهى منها، هنا بدأ الراوي في نفس المهمة وهي الحقد والانتقام ولكن على مصطفى سعيد فاكتشاف الراوي كل ضحايا مصطفى سعيد جعله يشمئز منه ويحقد عليه "**أنا أحس بالمرارة والحقد، فبعد هؤلاء الضحايا جميعا، توَّج حياته بضحية أخرى، حسنة بنت محمود، المرأة الوحيدة التي أحببتها قتلت ود الريس المسكين وقتلت نفسها من أجل مصطفى سعيد ...يا للبشاعة".**[3]

إن الراوي ورغم استمراريته لما كان عليه مصطفى سعيد وعلى أنه الوجه الآخر له إلا أنه كلما حاول نفسه الخروج من وهم مصطفى وحكايته، ظهر خيط جديد يجذبه للحكاية أكثر.

2 _ نسق الذكورة و الأنوثة:

أ_نسق الذكورة:

يعد مصطلح الذكورة من أكثر الأنساق الثقافية حضورا في دراسة النقد الأدبي عامة وفي الخطاب الروائي خاصة وهو يشير إلى تصوير الشخصيات الذكورية في الأعمال الأدبية ويهدف إلى فهم كيفية تمثيل الرجال والرجولة مثل القوة والشجاعة والعنف وارتبط نسق الذكورة مع الروايات العربية أكثر من غيرها.

"**لقد حفظت الثقافة العربية مجموعة من الصور النمطية للجنسين فانسرب ذلك في خلد أفرادها، وتمثل في معاينتهم للرجل والمرأة، فالرجل ظلَ في المقدمة يرفل بالقوة والسؤدد،**

---

[1] المصدر نفسه، ص 138.

[2] المصدر نفسه، ص 121.

[3] المصدر نفسه، ص 128.

فيما اقترنت المرأة بالضعف والغدر والجبن"[1] وفي ظل هذه الأفكار نتج صراع لا متناهي بين قوة الرجل وضعف المرأة، ومن بين هذه الأفكار التي تربعت في مخيلة الرجل العربي أن قوة الرجل جسدية حيث؛ يتمتع الرجل بقوة عضلاته وقدرته على القيام بأعمال بدنية، وتجلت أيضا في القوة العقلية والعاطفية فهو يتمتع بالثقة بنفسه وقدرته على التحمل والتصميم على تحقيق أهدافه وقدرته على التعامل مع الضغوط والتحديات بثبات وثقة، أما الأنثى فا ارتبطت بالجمال و الأناقة وما يميز الرجل عن الأنثى هو أن الرجل أعطى السلطة والتحكم للعقل عكس المرأة التي تتبع قلبها وعاطفتها واستغنت عن العقل وهذا تبعا لوجهة نظر المجتمع.

" **الثقافة في بعض أنحائها عدَّت اللغة شرطا ذكوريا، فحكمت على المنجز الأنثوي بالإجهاض، فتوارت المرأة عن مزاحمة الرجل حقه."**[2] أي اعتبروا أن التذكير هو الأصل وهمشوا التأنيث ودعسوا على حق المرأة ورأوا أنه مشروط عليها الانصياع والركوع أمام الرجل فهو له السلطة المطلقة في البيت وكذلك في المجتمع.

والسلطة الذكورية هي الفحولة الممارسة على الأنثى سواء أكانت سلطة جسدية جنسية أو معنوية، وهذا ما تجلى في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" فقد كان الجنس طريقة البطل مصطفى سعيد الخاصَّة للوقوف في وجه الحضارة الغربية وفي وجه العنف الأوروبي الذي مارسته إنجلترا ضدً بلاده السودان فقد جاءهم غازيا في نسائهم وفي أنوثتهم حيث يقول مصطفى سعيد"**أفعل كل شيء حتى أدخل المرأة في فراشي، ثم أسير إلى صيد آخر."**[3] فقد كان الصراع بين رجولة مصطفى سعيد وأنوثة النساء الغربيات وكان جل هذا الصراع في غرفة نوم مصطفى سعيد في لندن، وعلى لسانه بقوله"**غرفة نومي مقبرة تطل على حديقة، ستائرها وردية منتقاة بعناية، وسجاد سندسي دافئ والسرير رحب مخداته من ريش**

---

[1] عيسى برهومة، اللغة والجنس :حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص88.

[2] المرجع نفسه، ص 90.

[3] الطيب صالح، المصدر السابق، ص30.

النعام، وأضواء كهربائية صغيرة، حمراء...مرايا كبيرة، حتى إذا ضاجعت امرأة بدا كأنني أضاجع حريما كاملا في آن واحد...كانت مثل غرفة عمليات في مستشفى."[1]

كانت كل فتاة تدخل إلى غرفة مصطفى سعيد نهايتها الهلاك وتحفر قبرها بيدها دخلتها آن هامند فوجدوها ميتة "**آن هامند قضت طفولتها في مدرسة راهبات...حوّلتها في فراشي إلى عاهرة...وجدوها ميتة انتحارا بالغاز ووجدوا ورقة صغيرة تقول "مستر مصطفى لعنة الله عليك"**[2].

مصطفى سعيد خسر المعركة الحضارية من خلال بلده السودان لكنه ربحها من خلال نسقه الذكوري عندما جعل ساحة المعركة هي الجنس فقد جعله يلعب دورا بارزا في الصراع بين الرُجولة الشرقية والأنوثة الغربية، وليتغلب على النساء الغربيات استعمل سلاح الكذب ويتجلى لنا ذلك في قوله لإزابيلا سيمور حينما سألته عن بلده "**رويت لها حكايات ملفقة عن صحاري ذهبية الرمال، وأدغال تتصايح فيها حيوانات لا وجود لها، قلت لها إن شوارع عاصمة بلادي تعج بالأفيال والأسود، وتزحف عليها التماسيح عند القيلولة وكانت تستمع إليَّ بين مصدقة ومكذبة."**[3] كان يكذب لدرجة أنه في بعض الأحيان يؤمن هو بصدق كذبه، وبهذا أثبت لنفسه وللغرب أنَّه القوي لأنه ذكر فحل وأن الغرب ضعيف لأنه ما هو إلا امرأة أو أنثى.ومما زاد غرور وتسلط مصطفى سعيد هو خضوع النساء الأوروبيات له واعترافهم بسلطته وهو كان يتلذذ بهذه السلطة والقوة، كآن هامند التي تعتبر نفسها جاريته وهو سيدها ويظهر ذلك جليا في قوله "**ركعت وقبلت قدمي وقالت: أنت مصطفى مولاي وسيدي وأنا سوسن جاريتك. هكذا كل واحد واحد منا اختار دوره في صمت هي تمثل دور الجارية وأنا أمثل دور السيد...قلت لها بصوت آمر : تعالي .فأجابتني بصوت خفيض : سمعا وطاعة يا مولاي."**[4] وباعتراف آن هامند بسلطة مصطفى وخضوعها له هو في حد

---

[1] المصدر نفسه، ص 31.

[2] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[3] الطيب صالح،المصدر السابق، ص 37.

[4] المصدر نفسه، ص 132.

ذاته اعتراف بذكورته ورجولته وبينت ضعفها لأنها أنثى وبهذا انتقم مصطفى سعيد لشرقه المستعمر وكان الجنس أداته الفعالة وما جعل الإناث الغربيات يقعن في حباله هو التنوع في جنسه حيث لم يكن عربيا أو إفريقيا، ولكن كان الإثنان معا "**سألتني ما جنسك؟ هل أنت إفريقي أم آسيوي ؟قلت لها : "أنا مثل عطيل عربي إفريقي "نظرت إلى وجهي وقالت "نعم مثل أنوف العرب في الصور .لكن شعرك ليس فاحما ناعما مثل شعر العرب ."**[1]

كانت حياة مصطفى سعيد عبارة عن سلسلة من العلاقات الجنسية وهي ما تعبر عن رغبته العميقة الجامعة أو عن الحقد الذي في قلبه بسبب الغزو الغربي لبلده قديما فصارت هذه العلاقات كرد فعل أو انتقام لما حدث لبلده بسبب الغزو، وقد كان قتل سعيد لضحاياه لا يعد فعلا انتقاميا ولكنه استرداد لفحولته المملوكة، وبقتل مصطفى لجين موريس وفق بانتصار الرجولة الشرقية وانهزام الأنوثة الغربية أمامه وقام بمهمة الانتقام خير قيام من الاستعمار الغربي الذي احتل بلاد الشرق واستعبد أهلها وبانتصار رجولة الشرق (مصطفى سعيد)على أنوثة الغرب لم يعد هناك سبب لوجوده في البيئة الغربية، وعاد إلى بيئته الأصلية التي ولد بها وهناك انتهى الصراع.

ب_ نسق الأنوثة :

تولَد" نسق الأنوثة " كرد فعل عن" نسق الذكورة "**وقد كرست الثقافة أدوار الجنسين، فكان للرجل مركزية العقل والمكانة السنيَة، وللمرأة العاطفة والهوى، فهي مستغنية عن العقل تبعا لوجهة المجتمع، متوقدة غلمة.**"[2] فقد اعتبروا أن المرأة ناقصة عقل وذكر في كتاب عيسى برهومة أنَ "**كل ما يعرف أمذكر هو أم مؤنث فحقه أن يكون مذكرا لأن التأنيث لغير الحيوانات إنما هو تأنيث بعلامة، فإذا لم تكن بعلامة فالتذكير الأصل.**"[3]

ولكن نسق الأنوثة رد الاعتبار للمرأة ومكانتها ودافع عنها وخلع عن المرأة صفات الضعف و العطالة وبفضله خرجت المرأة من بؤرة التهميش والذل وسارت في طريق الحرية وصار

---

[1] المصدر نفسه، ص 37.

[2] عيسى برهومة، اللغة والجنس :حفريات لغوية في الذكورة و الأنوثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص 91 .

[3] المرجع نفسه، ص 94 .

لها حقوق مثلها مثل الرجل في حين أنها كانت تعتبر في وقت ما كائن ليس له عقل في الكثير من الثقافات والحضارات .

ويتجلى لنا في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال "طغيان المرأة وتسلطه، فقد كانت المرأة الغربية ترى الرجل الشرقي كائنا ضعيفا، أنهكه ضعفه حتى أفقده إرادته إلى درجة الذل والإهانة فمصطفى سعيد كان يذل ويهان من طرف زوجته جين موريس حيث كانت تتعمد أن تهينه فقال "**أردت أن أراقصها فقالت لي : لا أرقص معك ولو كنت الرجل الوحيد في العالم.**"[1] كان يصفعها على خدها فتركله بساقها حيث جين موريس كانت مفرطة في الذكاء كان المعجبون يلتفون حولها كالذباب وكانت ترى سعيد كائن همجي متوحش وبدائي ظل يطاردها لمدة ثلاث أعوام "**ذات يوم قالت لي : أنت ثور متوحش لا يفتر من الطراد إنني تعبت من مطاردتك لي ومن جريي أمامك .فتزوجني.**"[2]

رغم أنَه تزوجها إلا أنَها ظلت تهرب منه ولا تدعه يقربها وتذله كانت جين موريس المرأة الوحيدة التي جعلت مصطفى سعيد يلهث وراءها ولم تكن صيدا سهلا عكس النساء اللواتي عرفهنَ قبلها وكانت فرائس سهلة بالنسبة له وكنَ تأتينه دون عناء أو تعب لكن هذه المرة انقلبت الموازين وصار هو الفريسة "**أحسست بالذلة والوحدة والضياع ...ولكن لم تكن لي حيلة .كنت صيادا فأصبحت فريسة.**"[3]

أول مرة امرأة تتحدى رجولة وفحولة سعيد وتهينها أعطاها كل ما تتمناه وتطلبه وبالرغم من كل تلك التنازلات إلا أنَه لم يثبت لها رجولته، وكان يظن أنَه بزواجه بها سيستطيع إخضاعها وجعلها تستسلم له بعد طول انتظار لكنَ هذا الزواج زاد من حدَة الصراع بينهما، وجعله يحس بنقص رجولته "**كل ليلة تقول : أنا متعبة أو تقول : انا مريضة.**"[4] ولم تكتفي جين موريس بإذلال مصطفى سعيد من عدم تمكينه من نفسها فقط، بل تعدت ذلك بطعنه

---

[1] الطيب صالح،المصدر السابق، ص 140.

[2] الطيب صالح،المصدر السابق، ص 142.

[3] المصدر نفسه، ص 143.

[4] المصدر نفسه، ص 143.

في شرفه فقد كانت تغازل كل من هبَ ودبَ وهي معه في الطريق رغم معرفته بخيانتها له "**كنت أعلم أنَها تخونني، كان البيت كله يفوح بريحة الخيانة.**"[1]

وأهم ملاحظة نخرج بها من هذا التحليل تكمن في أنَه بما أن البطل كان يمثل الرجولة الشرقية بكل قسوتها وغطرستها، هناك في المقابل أنوثة غربية متحررة، ترى أن لا تحديد لحرية المرأة الجنسية، فباستطاعتها أن تعدد من علاقاتها الجنسية مع رجال آخرين حتى وإن كانت متزوجة .وكانت جين موريس لا تمثل فردا فقط بل كانت تمثل عالم الأنوثة، ومصطفى سعيد كان يمثل عالم الرجولة وكانا عالمين مختلفين متصارعين كان مصطفى يقول "**أقسم أنني سأقتلك .ابتسمت ساخرة وقالت : أنت فقط تقول هذا .ما الذي يمنعك من قتلي ؟ماذا تنتظر؟**"[2].

ففي نظر جين موريس كانت الرجولة ليست في الجنس فقط بل القدرة على الفعل والقيام، فهي ترى أن الرجل لا يرقى إلى مصاف الرجولة إلا إذا قام بقتلها، وهذا ما كانت تشكك في قدرة مصطفى سعيد على القيام به، لكنه في النهاية اقتنع بذلك وحدث القتل ووصل كل واحد منهما إلى مبتغاه، وفي الوقت الذي امتلكها فيه كرجل، أضاعها كأنثى للأبد "**وضعت حد الخنجر بين نهديها ...وضغطت الخنجر بصدري حتى غاب في صدرها، وأحسست بدمها الحار يتفجر من صدرها.**"[3]

ويتجلى لنا أيضا قوة المرأة ومقاومتها في "حسنة بنت محمود" زوجة مصطفى سعيد عندما أراد "ود الريس" وهو شيخ يبلغ من العمر سبعون سنة أن يتزوجها بعد غرق زوجها، لكنها رفضت أن ترضخ له لأنها لم تعد تلك الأنثى الضعيفة، وبعد أن فرض عليها إخوتها الزواج منه امتنعت عنه أسبوعين لم تدعه يقربها، وعندما حاول في ليلة من الليالي أن يأخذ حقه منها غصبا قتلته وقتلت نفسها "**ود الريس مطعون اكثر من عشر طعنات .طعنته في**

---

[1] المصدر نفسه، ص 145.

[2] الطيب صالح، المصدر السابق، ص 146.

[3] المصدر نفسه، ص 148.

بطنه وفي صدره وفي محسنه."[1] "كان الدم حارا يبقبق من قلب بنت محمود وبين فخذي ود الريس .الدم ملأ البرش والسرير وجرى جداول في أرض الغرفة."[2]

فحسنة بنت محمود لم تكتفي فقط بقتل ود الريس الذي يمثل الرجولة في أسوأ تجلياتها. وإنَما وضعت حدا نهائيا لما كان يمثل رمز استعبادها ورمز مذلَتها ومهانتها.

3_ نسق الهوية...أزمة الهوية:

إن قضية الهوية تحتل مكانة هامة في الفكر العربي الحديث، فأننا لا نستطيع تجاهل تأثير المستعمرات الغربية على تشكل هذا الفكر فقد تم تقديم الثقافة والقيم الغربية في الأراضي العربية، مما أدى إلى تحديات في فهم الهوية العربية والتعامل مع التغيرات الثقافية والاجتماعية، هذه المشكلات تعكس الصراعات والتوترات بين الهوية العربية التقليدية والثقافة الغربية المستوردة، فالمفكر العربي يرى الغرب كمظهر للتهديد والتقدم في ان واحد .

بدأ يتزايد الاهتمام بقضية الهوية مع بداية العقود الأخيرة عامة وما بعد الحرب العالمية خاصة، وبعد تلك الفترة اتجه جل الشعوب والثقافات في التساؤل حول هويتهم وحول تحديد مكانتهم في العالم، وأصبحت تشغل العديد من المفكرين والباحثين في شتى المجالات والدراسات الثقافية والإنسانية وحتى الاجتماعية، ومع كل هذا الانتشار والاهتمام بقضية الهوية في مختلف الثقافات وخصوصا الثقافة الغربية إلا أنه لم يصلوا إلى تعريف دقيق وجامع لمفهوم الهوية فهو لا يزال مبهما وغير واضحا وذلك راجع لتعدد مشاربه وتعريفاته، فإن كل مرحلة من مراحل الحياة التاريخية تطرح مفهوم مختلف في الهوية ومع مرور الزمن تتغير إشكالياتها، فالزمن الحاضر ليس كالزمن الماضي وهو في تطور مستمر.

فالهوية في نظر عبد الحسين الشعبان : "**وعي الإنسان وإحساسه بذاته وانتمائه إلى جماعة بشرية قومية أو دينية مجتمعا أو أمة. "**[3] كما "**تعد الهوية المسألة الأساسية للفلسفة منذ قال سقراط اعرف نفسك بنفسك، وصولا إلى فرويد ومرورا بالعديد من**

---

[1] المصدر نفسه، ص 115.

[2] المصدر نفسه، ص 116.

[3] عبد الحسين شعبان، الهوية والمواطنة 'البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة' مركز دراسات الوحدة العربية، بناية بيت النهضة، شارع البصرة، ص.ب 6001، 113، الحمراء لبنان، بيروت، ص 20.

المعلمين الاخرين."[1] ومنه يظهر لنا مدى توسع وانتشار مصطلح الهوية عند الباحثين والفلاسفة .

وأيضا نجد تعريف اخر للهوية عند مجموعة من الباحثين حيث يروا "**أن الهوية هي شعار أو رمز يستخدم في النضال من أجل الهيمنة، وذلك بتعليم المجتمع واطلاعه على واقعه المفترض وإرشاده إلى التشكيل السابق في الاختلالات التي أحدثتها قوى الحداثة** [2]".

فمعرفة كل فرد بهويته يؤدي به إلى معرفة ذاته وزيادة ثقته بنفسه وعدم الوقوع في الحيرة عند الاختلاط بثقافات أخرى غير الثقافة الأم للفرد، ويكون ذلك بتعليم المجتمع حول واقعه وتاريخه ومنه تكون الهوية كرمز للنظام، ويمكن القول أيضا أن "**أول النتاجات البنية الثقافية لأي جماعة بشرية هويتها.** "[3] فالثقافة تختلف حسب اختلاف الهويات فلا يمكن أن تكون ثقافة وهوية الإنسان الشرقي مثل ثقافة وهوية الإنسان الغربي فالهويات تتأثر بالقيم والمعتقدات والتقاليد حسب كل منطقة، وأيضا باللغة والتاريخ وحتى التجارب الشخصية، فحسب حليم بركات "**إن الهوية هي معرفتنا ...بما، وأين، ونحن، ومن أين أتينا وإلى أين نمضي، وبما نريد بأنفسنا وللآخرين، وبموقعنا في خريطة العلاقات والتناقضات والصراعات القائمة**"[4] و منه فالهوية هي جزء أساسي من الانتماء الثقافي، وهي تتشكل من عدة جوانب، و تشكل فينا أيضا جوانبنا الفريدة و المميزة و صورتنا أمام الأخر، و يرى أليكس ميكشيللي أيضا "**أن الهوية بوصفها المعايير التي يعرف بها الفرد و الجماعة**

---

[1] أمين معلوف، الهوية القاتلة، قراءات في الانتماء والعولمة، تر، النبيل محسن، الطبعة 01، 1999، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ص 13 .

[2] مجموعة من الباحثين، الهوية ، تر عبد القادر قانيني، ط، 01، 2005، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 19.

[3] مريم محمود محمد الحسيني، ورقة بحثية، النخبة المثقفة وأزمة الهوية، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، المجلة العلمية، العدد 36، الإصدار الثاني، مايو 1444هـ، 2023م، ص 75.

[4] عبد الحسين شعبان، الهوية والمواطنة، البدائل الملتبسة و الحداثة المتعثرة، ص 20.

و المجتمع و الثقافة"[1] والمغزى من القول هنا أن الهوية هي محور كل من الفرد، الجماعة، المجتمع و حتى الثقافة و أن بدون هوية سنكون نكرة بلا معنى .

إن الهوية هي الشعور بالتميز و الحرية و لكن لا تتحقق الهوية إلا من خلال وجود الأخر و مواجهته، فالوعي بالاختلاف القائم بين الذات و الأخر تتشكل الهوية و تكتسب مدلولاتها لأن هذا الأخر هو الذي يؤكدها أو ينفيها فيقول أمين معلوف في هذا: "**هويتي هي ما يجعلني غير متماثل مع أي شخص أخر"**[2] فالمواجهة مع الأخر تؤكد حينها ثقة الذات أو الفرد بنفسه، أو عدم وجود تلك الثقة المدعاة أثناء تواجد الفرد دون الأخر، فالشعور بوجود الأخر و الإختلاف عنه يؤدي إلى الشعور بالتمييز و الإنتماء و الهوية.

و يقول أمين معلوف أيضا: "**يحدث أحيانا أن أقوم بما أدعوه (تفحص هويتي) مثلما يقوم بعضهم الأخر بتفحص ضمائرهم، و ربما فهمنا أنني لا أهدف لأن أعثر في ذاتي على انتماء أساسي أتعرف إلى نفسي من خلاله، بل أنني أتبنى الموقف المعاكس، فأنا أبحث في ذاكرتي لأكشف عن أكبر عدد من عناصر هويتي و أجمعها و أرتبها و لا أنكر أيا منها"**[3] فهويتنا تتألف من مجموعة من العوامل و الخصائص التي تشكلنا كأفراد، أحيانا قد نشعر بضغوط من الآخرين لتحديد هويتنا بشكل محدد و تصنيفها في إطار معين، لكن الحقيقة أن الهوية ليست شيئا ثابتا و محددا، كما يرى ستيوارت هول "**أن الهوية في حالة تحول دائم فهي ليست معطى منجزا متكاملا لا ينتهي"**[4].

لقد عالجت روايتنا "رواية موسم الهجرة إلى الشمال " قضية أزمة الهوية كونها نموذجا لأدب ما بعد الإستعمار، فكل بلد تعرض للإستعمار سيكون هناك حتما إختلال في هويته، بين ثقافتين مختلفتين و صراعات حضارية متنوعة، سواء من الناحية الإجتماعية أو السياسية أو الأخلاقية.

---

[1] أليكس ميكشيللي، الهوية، تر، علي وطفة، دار الوسيم، دمشق، الطبعة العربية الأولى، 1993، ص07.

[2] أمين معلوف، الهويات القاتلة، قراءات في الإنتماء و العولمة، ص14.

[3] أمين،معلوف،الهويات القاتلة،المرجع السابق، ص19.

[4] عبد الحسين شعبان، الهوية و المواطنة، ص20.

و قد جسد الطيب صالح في روايته هذه ما حدث بعد الإستعمار في بلاده السودان من خلال شخصية واجهت الصراع الحضاري بين الأنا و الأخر، فمصطفى سعيد كان نموذج المثقف العربي في مواجهته للإستعمار من خلال هجرته إلى لندن، فاختلاطه بالثقافة الغربية و تبني قيمها أدى إلى انصهار هويتها داخل هذه الثقافة، التي كانت وجهته نحوها داخليا وجهة إستعمارية إنتقامية لما خلفه الإستعمار البريطاني في بلده.

تغلغل مصطفى داخل المجتمع البريطاني من خلال دراسته هناك و كانت اللغة الإنجليزية سبيله فهو كان سريع الحفظ و التعلم، حيث أتقن لغتهم، " **إكتشفت ألغازا أخرى، منها اللغة الإنجليزية، فمضى عقلي يعض و يقطع كأسنان محراث** "[1] وجاء في أيضا: "**تخرج الكلمات من فمه كما تخرج من أفواه أهلها...كنا نطلق عليه بخليط من الإعجاب و الحقد (الإنجليزي الأسود)**"[2] و هو ما سمح لمصطفى بالذوبان في المجتمع الغربي، فلولا لون بشرته السمراء لما شك فيه أحدا أنه غريب عن المجتمع، فبطلاقة لغته تظن أنه من أبناء الإنجليز، وهو ما أتاح لمصطفى سعيد بحجز مكانة في الجامعات الإنجليزية، و بعدها الحصول على تأشيرة عمل كأستاذ محاضر في علم الإقتصاد بجامعة أوكسفورد، هنا تعالت قيم المجتمع الغربي في شخصية مصطفى سعيد و غابت قيم مجتمعه الشرقي القيم الأصلية التي ترعرع عليها، "**فالشعور بالإستلاب الثقافي يولد م خلال الشعور بتلاشي السمات الثقافية المميزة تحت تأثير ثقافة أخرى تمارس نوعا من الهيمنة و الإكراه**"[3].

رغم انصهار مصطفى سعيد مع المجتمع الغربي و كثرة النساء الأوروبيات من حوله وكونه عالم إقتصاد و أستاذ محاضر يدل على أنه اجتماعي إلا أنه كان يحس بالوحدة، "**فالمهاجر الذي يعيش بعيدا عن موطنه الأم، هو كائن هش و رهيف، كثيرا مايكون عرضة للسعات الحنين إلى الوطن و الأهل، في هذه الحالة يفكر دائما في طرق للتحايل**

---

[1] الطيب صالح ، المصدر السابق،ص24 .

[2] المصدر نفسه، ص 49\50.

[3] أليكس ميكشالي، الهوية، ص84.

على تلك الآلام الروحية"[1] و هو ما عبر عنه مصطفى سعيد بمزيج من الإحساس باللا مسؤولية و عدم الانتماء في رحلة اغترابه عن وطنه و ثقافته، فقال: "**و ضرب القطار في الصحراء، فككرت قليلا في البلد الذي خلفته ورائي، فكان مثل جبل ضربت خيمتي عنده، و في الصباح قلعت الأوتاد و أسرجت بعيري"**[2]، فمصطفى سعيد رغم حزنه على هجرته لوطنه إلا أنه أخفاه و تجاوز ألمه، وهذا ما يؤدي إلى استلاب الهوية من ثقافة إلى أخرى، فعدم الاهتمام لما خلفه وراءه من قيم و معايير، أخلاق و مبادئ يؤدي إلى تلاشيها شيئا فشيئا خصوصا مع وجود البدائل، فهنا "**تعاني الهوية من حالة استلاب عندما تتعرض (الذات) إلى تأثير نظام من العمليات الخارجية التي تعمل على إحداث تغيرات عميقة في جوهرها"**[3] فيؤدي حتما إلى انكسار هوية الشخصية و تلاشيها في هوية الآخر، "**فالتعريف على الأخر عند الإنسان، كما هو الحال عند الحيوان، يحدث عفويا، و في سياق فئوي ينطوي على إشارات خاصة، و يصدق ذلك عندما نتحدث عن الهوية الاجتماعية و عن أسس الهوية التي تتمثل في نسق من الرموز ذات الطابع الإدراكي و التي تتصل بالهويات الخارجية"**[4]، فمقولة القوي يأكل الضعيف دائمة و مستمرة و تطبق على أرض الواقع سواء قولا أو فعلا استحقارا و إهانة و قد مثلها الطيب صالح في رائعته "**الرجل الأبيض، لمجرد أنه حكمنا في حقبة من تاريخنا، سيظل أمدا طويلا يحس نحونا بإحساس الإحتقار الذي يحسه القوي تجاه الضعيف...'لقد نقلتم إلينا إقتصادكم الرأسمالي، ماذا أعطيتمونا غير حفنة من الشركات الإستعمارية نزفت دماءنا و لا تزال؟'"**[5] فرغم خروج الإستعمار من البلاد السودان إلا أنه ظل يستعبده بطريقة غير مباشرة و يريد تملكه و الحكم عليه، و طمس هويته الأصلية و كان يرى ذلك أنه هو الممول أو السيد الذي لا يستطيع الشرق

---

[1] بن علي لونيس، الهوية الثقافية من الانغلاق الإديولوجي إلى الإنفتاح الجواري، قراءة في رواية"كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"للروائي الجزائري"عمار لخوص"ص، 178.

[2] الطيب صالح، المصدر السابق، ص25.

[3] أليكس ميكشيللي، الهوية، ص147.

[4]اليكس ميكشللي،الهوية، ص، 18.

[5] الطيب صالح،المصدر نفسه، ص56.

العيش بدونه، و أن المستعمر (الشرق) بحاجة إليه سواء أكان خفية أو علنية، كما جاء في حوار بين اثنين من الإقتصادين، واحد غربي و الأخر شرقي حيث قال الغربي : "**كل هذا يدل على أنكم لا تستطيعون الحياة بدوننا، كنتم تشكون من الاستعمار، و لما خرجنا خلقتم أسطورة الاستعمار المستتر، يبدو أن وجودنا، بشكل واضح أو مستتر، ضروري لكم كالماء و الهواء**"[1] فالاستعمار كان يرى نفسه أنه يقدم خدمة للمستعمر لأنه في رأيه هو بحاجة إليه و بدونه سيقع في التخلف و عدم القدرة على العيش، و بإدخال قيمه و تقاليده عليه يزدهر و يكمل مسيرة حياته و هذا ما يدل على احتقاره للهوية العربية و تقديره بتميز الهوية الغربية.

يعاني سعيد مع صراعه الذي يتنازعه ثقافاتان و هويتان مختلفتان، الأولى لبلاده (وطنه الأم)، والثانية لبلاد الاستعمار التي يسكنها و يأكل من خيراتها و يتغذى بعلمها، و أيضا مع وحدته الداخليه التي تكاد تخنقه، و المجتمع الأوروبي من حوله، فجاء في كتاب الهوية لأليكس ميكشللي"**هناك شئ ما يؤكد وحدتي الحاضرة و وحدة الشخصية على الرغم من تعدد الأدوار التي تؤديها في إطار الظروف الاجتماعية المحيطة، فالشعور بالوحدة على حد تعبير سارتر هو إمكانية دائمة لرفض الماضي و التساؤل الدائم عن الكينونة الذاتية**"[2] و هذا ما أشرنا إليه سابقا في إخفاء مصطفى حزنه و تجاوز شوق وطنه و إكمال رحلته نحو المجهول، فعلاقة مصطفى بالمستعمر علاقة معقدة و مضطربة، مرفقة بالكره الممزوج بالرهبة و التقدير تجاه الغرب، بينما يراه هذا الأخير بنظرة احتقار و استعباد و شفقة حيث قيل لمصطفى: "**إنك يا مستر سعيد، رغم تفوقك العلمي، رجل غبي، إن في تكوينك الروحي بقعة مظلمة**"[3] وأيضا"**أنت يا مستر سعيد خير مثال على أن مهمتنا الحضارية في إفريقيا عديمة الجدوى، فأنت بعد كل المجهودات التي بذلناها**

[1] الطيب صالح، المصدر السابق، نفس الصفحة.

[2] أليكس ميكشللي،الهوية، ص 77.

[3] الطيب صالح ,المصدر نفسه، ص 51.

في تثقيفك كأنك تخرج من الغابة لأول مرة"[1] فهنا الغرب أظهر بصريح العبارة مدى احتقاره و إذلاله للشرق، فالنظرة الدونية للغرب تجاه الشرق لم تتغير منذ الأزل، و استحقارهم ظل قائما سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

إن انصهار الذات الشرقية في الغرب تمثلت أيضا في تبني مصطفى قيم المجتمع الغربي و زواجه من امرأة بريطانية، "**مصطفى سعيد كان أول سوداني تزوج إنجليزية، بل كان أول سوداني تزوج أوروبية إطلاقا"**[2] و لقد مثلت علاقته بزوجته جين موريس اضطرابات بين القرب و البعد، فهو كان يريدها و في نفس الوقت يرفضها، و مثلت جين موريس الأوروبية الإستقراطية، أدارت مصطفى سعيد 3 سنوات و هو يجري وراءها و يطاردها وأهانت كبرياءه، "**كأنها تتعمد أن تكون حيث أكون لتهينني...كانت حينا أتجنبها تغرني و حين أطاردها تهرب مني"**[3] هنا أشارت أفعال جين لعملية الاستلاب التي مارست الهيمنة و الإكراه و الاحتقار، "**أردت أن أراقصها فقالت لي: لا أرقص معك و لو كنت الرجل الوحيد في العالم"**[4]، و لم تقبل جين أن تنصاع لأوامره إلا بشروط منها كان يجب عليه تقبلها والإنصات لها ذليلا، فقد طلبت منه أغلى أشياؤه، "**أشارت إلى زهرية ثمينة من الموجود على الرف...أخذت الزهرية و هشمتها على الأرض و أخذت تدوس الشظايا بقدميها حتى حولتها إلى فتات، و أشارت إلى مخطوط عربي نادر...أخذته و مزقته و ملأت فمها بقطع الورق و مضغتها و بصفتها، كأنها مضغت كبدي"**[5] لقد طلبت جين من مصطفى لوازمه الشرقية المعبرة عن هويته و ذلك راجع لعقلية الغرب و معاملته السيئة نحو الشرق، "**أشارت إلى مصلاة من حرير أصفهان أهدتني إياها مستر روبنسن...أثمن شئ عندي و أعز هدية على قلبي...أخذتها و رمتها في نار المدفأة"**[6]، إن إحراق و تمزيق جين لوازم

---

[1] المصدر نفسه، ص 86.

[2] الطيب صالح ، المصدر السابق ،ص 52.

[3] المصدر نفسه، ص 140.

[4] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[5] الطيب صالح،المصدر نفسه، ص 141.

[6] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

مصطفى سعيد المعبرة عن ذاته الشرقية و ذكرياته المتعلقة بكل ما هو عربي، هو حرق و تمزيق لهويته العربية الشرقية.

و لقد حملت الرواية رؤية المثقف العربي للهوية بإخفائه لهويته و الاندماج في أخرى، "**فيكون حينها ينظر إلى معايير و قيم و سلوك جماعة أخرى بوصفها نموذجا مرجعيا له**"[1]، و هنا تنصهر الذات في الآخر، و تمثل ذلك كما قلنا في زواج مصطفى بجين موريس، التي كانت أفعالها تمثل عملية الإكراه نحو مصطفى سعيد فيقول في ذلك : "**وقفت قبالتي و نظرت إلي بصلف و برود...وفتحت فمي لأتكلم، لكنها ذهبت**"[2]، فهنا جين لم تكترث لمصطفى سعيد وغادرت دون أن تعره أي اهتمام، و يدخل هذا الفعل في إطار التبخيس و الاحتقار، و هدم شعور مصطفى و إحساسه بالدونية والقهر، و تكررت أفعال جين موريس عدة مرات فقالت له أيضا: "**أنت بشع لم أرى في حياتي وجها بشعا كوجهك**"[3] و أيضا : "**و ذات يوم قالت لي: أنت ثور همجي لا يمل من المطاردة**"[4]، فقد انعكست صورة الرجل الشرقي عند المرأة الغربية على أنه كائننا متوحشا و بشعا وبدائيا وضعيفا.

4 نسق المكان:

اكتسب المكان في الرواية العربية مكانة واسعة وكبيرة فهو يعتبر من أحد العناصر المهمة فيها "**فالمكان ليس عنصرا زائدا في الرواية فهو يتخذ أشكالا و يتضمن معان عديدة، بل لأنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله**"[5] .

فالمكان يعتبر مجال ثقافي يعكس خلفيات المبدع الإيديولوجية و الثقافية، و في مفهومه العام هو الحيز و الفضاء، و في هذا السياق يقول حميد الحمداني: "**إن مجموع هذه**

---

[1] الطيب صالح ، المصدر السابق ،ص 30.

[2] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[3] المصدر نفسه،نفس الصفحة.

[4] المصدر نفسه، ص 33.

[5] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط02، 2009، ص 33.

الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن تطلق عليه اسم فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، و المكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء : [1].

و يرى أحمد مرشد بأنه"**المدى الحقيقي للوجود الإنساني، و شرطه الأولي، و قد تمكن الإنسان بوجوده في المكان من أن يضفي عليه سمة العقلانية، فبدأت الحياة الإنسانية العاقلة، و لهذا أمسى المكان شرطا لازما للروائي، كي يبني عليه عالمه، و يحيي فيه المجتمع الروائي الذي تعيش فيه مجموعة الشخصيات"[2]**، فالمكان صار عنصر من العناصر الأساسية التي ينطلق منها العمل الروائي فمن خلاله يمكن للقراء أن يتخيلو البيئة ويشعروا بالانتماء إليها.

تحمل رواية "موسم الهجرة إلى الشمال "فضاءات مختلفة من الأماكن، والمكان ينقسم إلى قسمين، اماكن مغلقة وأماكن مفتوحة وهذا ما سنقف عليه في روايتنا.

أ _الأماكن المغلقة: وهي الأماكن التي تكون محصورة ومحاطة بحواجز أو جدران وتكون ذات مساحة محدودة تشمل العديد من الأماكن مثل الغرف والممرات الضيقة والأقبية.

والمكان المغلق هو"**مكان محدد المساحة ويتصف بالضيق، وهو مكان إقامة وثبات ولا يستطيع النازل أن يحدد مدة بقائه."[3]** فهو يعتبر مأوى الإنسان ويبقى فيه فترات من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين .

وفي رواية "موسم الهجرة إلى الشمال "سنحدد أهم الأماكن المغلقة الواردة بها:

1_البيت: يعدُ مكان مغلق من وجهة نظر المجتمع، ومفتوح من وجهة نظر الشخصية التي تسكن به ويقضي به معظم وقته، ويعتبر مأوى ومكانا للراحة والاسترخاء والحماية، ويحتوي على غرف مختلفة كغرف النوم و المطبخ والحمام...الخ.

---

[1] حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص64.

[2] أحمد مرشد، البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط01.2005، ص 128.

[3] ينظر:مهدي عبيدي، جمالية المكان في ثلاثية حنا مينه، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011 ، ص 75.

_بيت "مصطفى سعيد" بالسودان هو المكان الذي عاش فيه مصطفى بعد عودته من الغرب حيث يقول الراوي "**كان بيتا عاديا، ليس أحسن ولا أسوء من بيوت الميسورين في البلد، منقسم إلى جزأين كبقية البيوت، جزء للنساء، والقسم الذي فيه الديوان للرجال، ورأيت إلى يمين الديوان غرفة من الطوب الأحمر، مستطيلة الشكل، ذات نوافذ خضراء، سقفها لم يكن مسطحا كالعادة ولكنه كان مثلثا كظهر الثور**"[1] هذا يدل على أن الحالة الاجتماعية لمصطفى سعيد كانت عادية، ووضع اقتصادي مترد، وكان من الطبقة المتوسطة.

_ بيت جد الراوي": "**باب ضخم عتيق من خشب الحراز _ لاشك أنه استوعب حطب شجرة كاملة، صنعة ود البصير**[2] ووصفها أيضا "**هذه الدار الكبيرة ليست من الحجر ولا الطوب الأحمر، ولكنها من الطين نفسه الذي يزرع فيه القمح ...حيث تسرب إليها الماء من الأرض والزارعة**[3] بوصف الراوي لبيت جده نلاحظ أنهم كانوا أناسا فقراء، أو فلاحون بسطاء وحين وصفه للبيت كان يتذكر إحساسه الذي يسبق لحظة لقاءه بجده كلما عاد من سفره، ووصف أيضا غرف البيت بقوله "**غرف كثيرة مختلفة الأحجام بنيت بعضها لصق بعضها في أوقات مختلفة...غرف يؤدي بعضها إلى بعض...حيطانها ملساء مطلية بمادة هي خليط من الرمل الخشن والطين الأسود وزبالة البهائم...الخ.**"[4]

جد الراوي كان متقشفا في العيش وبخيلا، ونرى هنا أن نسق البيت في روايتنا يدل على الفقر والشقاء فالبيت هو مرآة عاكسة لصاحبه فبوصف البيت نصف الإنسان الذي يعيش فيه.

2_ الغرفة: هي مكان مغلق في المنزل يستخدم عادة للنَوم أو الاسترخاء، تختلف أحجامها، يمكن أن تكون صغيرة أو كبيرة، وهي توفر مساحة شخصية للفرد في المنزل أو البيت وتوفر له أيضا خصوصية.

---

[1] الطيب صالح ، المصدر السابق، ص 14.

[2] المصدر نفسه، ص 65.

[3] المصدر نفسه، ص 66.

[4] المصدر نفسه ، ص 67 .

ووصف لنا الراوي غرفة مصطفى سعيد بلندن بأنها "**مقبرة تطل على حديقة ستائرها وردية، وسجاد سندسي دافئ والسرير رحب مخداته من ريش النعام، وأضواء كهربائية صغيرة، حمراء، زرقاء، ..تعبق في الغرفة رائحة الصندل المحروق والنَد، وفي الحمام عطور شرقية نفاذة ...ومساحيق وحبوب**[1] لم يخطئ الراوي حين شبه الغرفة بالمقبرة فهي تحمل جوًا غامضا وجميلا في نفس الوقت والستائر والسجاد السندسي يضيفون لمسة من الفخامة والدفء، مما يعني أن غرفة مصطفى سعيد كانت فخمة وغامضة في نفس الوقت "**غرفة نومي كانت مثل غرفة عمليات في مستشفى**[2].

كذلك وصف لنا الراوي غرفة مصطفى سعيد بالسودان والتي كانت تشبه غرفته بلندن فقال: "**رائحة الطوب والند المحروق و الصندل، و الكتب ياإلهي الحيطان الأربعة من الأرض حتى السقف، رفوف رفوف كتب، كتب...ورفعت المصباح فإذا أرضية الغرفة كلها مغطاة بأبسطه فارسية...مدفأة إنجليزية بكامل هيأتها و عدتها و فوقها مظلة من النحاس ة أمامها مربع مبلط بالرخام الأخضر و رف المدفأة من رخام أزرق و على جانب المدفأة كرسيان فيكتوريان مكسوان بقماش من الحرير المشجر بينهما منضدة مستديرة عليها كتب و دفاتر**[3] أما غرفة مصطفى سعيد بالسودان كانت عكس غرفته بلندن فقد كانت مليئة بالكتب العلمية و الفلسفية و والاجتماعية و دواوين الشعراء فقد كانت تحتوي الغرفة على كل تفاصيل حياته التي قضاها في الغرب، و كل النساء اللواتي تعرف عليهن.

كانت تتشابه الغرفتان فقط في الأثاث و الرائحة و نفس اللمسة فحياة مصطفى سعيد التي كان يخفيها عن أهل قريته و عن الراوي كانت مخبأة كلها في تلك الغرفة، و بدخول الراوي إليها انزاح كل الغموض الذي كان في ذهنه من ناحية مصطفى سعيد.

3 _ المدرسة: يمكن للمدرسة أن تكون مكانا مغلقا أو مفتوحا، وهذا اعتمادا على تصميمها وبنيتها، وهي تعد مكانا هاما لاكتساب المعرفة والمهارات وتهدف إلى تطويرها،

---

[1] الطيب صالح ، المصدر السابق، ص 31.

[2] المصدر نفسه، ص 31.

[3] المصدر نفسه ، ص 123.

وقد مر الراوي بوصفها مرور الكرام بقوله "**بناء جميل من حجر وسط حديقة كبيرة على شاطئ النيل.** "[1] المدرسة كانت بالنسبة لمصطفى سعيد هي التحول في حياته فبسبب دخوله إلى المدرسة استطاع النجاح في حياته والانتقال إلى الحياة العلمية فهو كان شديد الذكاء واستطاع إنهاء المرحلة في فترة وجيزة.

ب_الأماكن المفتوحة: هي الأماكن التي تكون متاحة و غير مقيدة بحواجز أو حدود وقد عرفها مهدي عبيدي في كتابه "جماليات المكان" بقوله: "**المكان المفتوح عكس المكان المغلق والأمكنة المفتوحة عادة تحاول البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع ...إن الحديث عن الأمكنة المفتوحة هو حديث عن أماكن ذات مساحة هائلة توحي بالمجهول** ."[2] ومن الأمكنة المفتوحة الموجودة في الرواية نجد:

1_ نهر النيل : الأنهار تلعب دورا هاما في توفير المياه العذبة والري والنقل والتجارة، وهو مجرى مائي طبيعي يتدفق عبر الأرض بشكل مستمر، يمكن أن يكون نهرا ضيقا وصغيرا أو واسعا وعريضا "**النهر مكان مفتوح على الطبيعة والعواصف والأنوار، وعلى المجهول وعلى المغامرة التي تحتاج الشجاعة والمهارة والصبر**"[3] وفي الرواية وصف لنا الراوي نهر النيل وهو واحد من أطول الأنهار في العالم، وهو يجري عبر السودان ومصر ويصب في البحر الأبيض المتوسط "**النهر بعد أن كان يجري من الشمال إلى الجنوب، ينحني فجأة إلى زاوية تكاد تكون مستقيمة، ويجري من الشرق إلى الغرب، المجرى هنا متسع وعميق ووسط الماء جزر صغيرة مخضرة، تحوم عليها طيور بيضاء، وعلى الشاطئين غابات كثيفة من النخل...وماكينة ماء من حين لآخر.** "[4] وصف لنا الراوي النهر وصفا دقيقا وذكر كل تفاصيله وهذا دال على ان الراوي كان يحب الجلوس أمامه والتأمل في تفاصيله. كان النهر بالنسبة لمصطفى سعيد وللراوي مكان للاسترخاء وتصفية الذهن .

---

[1] المصدر نفسه، ص 22.

[2] مهدي عبيدي، جمالية المكان في ثلاثية حنا مينه، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص 95.

[3] مهدي عبيدي، جمالية المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 175.

[4] الطيب صالح، المصدر السابق، ص 58.

2_ الحقول : هي أراضي زراعية واسعة تستخدم لزراعة المحاصيل وتربية الحيوانات، تعتبر الحقول جزءا هاما من النظام الغذائي وتوفر الغذاء للبشر والحيوانات، كما تعتبر الحقول مصدرا للعمل والدخل للمزارعين والمجتمعات الريفية وهذا ما وقف عليه الراوي في النَص "**الرجال قاماتهم منحنية على المعاول وبعضهم خلف المحاريث، قمم النخل ترتعش للهواء الخفيف وتسكن وبخار حار يتصاعد من حقول البرسيم المرويَة** "[1] كان جل الرجال الذين يسكنون في قرية مصطفى سعيد فلاحون ومزارعون، كانوا يزرعون القمح وينظفون الأرض ويجمعون أعواد الذرة والجذوع الصغيرة، وكانت الحقول هي مصدر عمل وعيش المزارعين في القرية .

3_ الصحراء : هي منطقة جافة وقاحلة تتسم بندرة الأمطار وانعدام النباتات، وهي بيئة قاسية وتحتوي على رمال وصخور وتضاريس متنوعة وتعتبر أيضا موطنا للكائنات الحية المتكيفة مع هذه البيئة القاسية، والصحراء تعتبر مكان مفتوح "**الصحراء مكان مفتوح شديد الاتساع، ويحمل في طياته المجهول، والخوف والرهبة للإنسان، وبالقدر نفسه يحمله على المغامرة والاكتشاف** "[2] وبعض ما يرى في الصحراء غالبا ما يكون عبارة عن سراب ووهم خادع وهو سمة من سمات الصحراء وهي ترمز أيضا للمغامرة والخوف والرهبة .

وفي روايتنا ذكرت الصحراء بأنها "**خيام مهلهلة عند شجيرات ناحية الجنوب، عندها غنيمات وأطفال عراة .أين الظل يا إلاهي ؟مثل هذه الأرض لا تنبت إلا الأنبياء، هذا القحط لا تداويه إلا السماء، والطريق لا ينتهي، والشمس لا ترحم.**"[3] في طريق عودة الرَاوي حطوا رحالهم في الصحاري ولم يبق لهم الكثير للوصول وشربوا الخمر، واستلقى على الرمال وراح يتأمل في جمال السماء، واعتبر الصحراء أرض الشعر، حتى السواق راح يغني، واجتمع الناس وكل من كان مارا من هناك توقف، وصارت قافلة أكثر من مئة رجل

---

[1] الطيب صالح، المصدر السابق، ص 117، 118 .

[2] ينظر:مهدي عبيدي، جمالية المكان في ثلاثية حنا مينه، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص 171.

[3] الطيب صالح،المصدر نفسه ، ص 101.

وبدأوا يرقصون "**وردد الليل والصحراء أصداء عرس عظيم كأننا قبيل من الجن، عرس بلا معنى** "[1] كانت الصحراء بالنسبة للراوي كتجربة جميلة وقضى فيها ليلة ممتعة ومميزة .

4_ القرية : هي عبارة عن تجمع صغير من المنازل والمباني في منطقة ريفية، تعيش فيها مجموعة من الأسر والأفراد، وتتميز بحياة هادئة ومجتمع مترابط، وهي غالبا ما تكون محاطة بالطبيعة والحقول الزراعية، وهذا ما تجلى لنا في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" فمصطفى سعيد والراوي كانا يعيشان في قرية في الخرطوم عند منحنى النيل "**في بلدنا وشوشة مرحة، صوت الريح وهي تمر بالنخل غيره وهي تمر بحقول القمح**"[2]كانت القرية بالنسبة لهم تمثل الأمان وكانوا يحنون لها عند اغترابهم "**رائحة زهور الطلح وروث البهائم ورائحة الأرض التي رويت لتوها بالماء بعد ظمأ أيام، ورائحة قناديل الذرة في منتصف نضجها، وعبير أشجار الليمون.**"[3] كانت القرية هي مكان نشأت الراوي ومصطفى سعيد والمكان الذي احتواهم بعد عودتهم من الغرب .

[1] الطيب صالح ، المصدر السابق ،ص 105.

[2] المصدر نفسه، ص 06.

[3] الطيب صالح، المصدر نفسه ،ص 44.

خـــاتـــمـــة

بعد جولة قضيناها في رحاب النقد الثقافي وأنساقه المضمرة داخل روايتنا،"رواية موسم الهجرة إلى الشمال "توصلنا لمجموعة من النتائج المهمة يمكن إبرازها في مجموع النقاط الآتية:

_ جسد الطيب صالح في روايته هذه الصراع الحضاري بين الشرق والغرب .

_ البطل العربي يكون دائما مسافرا إلى الغرب أو الشمال بحثا عن امرأة أوروبية متحررة،وعن علم ينتفع به،لأنه في بلده يعاني الكبت والحرمان من العلم والمرأة .

_ الشرق والغرب مفهومان واسعان لهما دلالات كثيرة،فهما يتوسعان وينحصران من عصر إلى آخر.

_ الرواية تسلط الضوء على تجربة مصطفى سعيد الذي يعيش في فضاء ثقافي مزدوج ومتناقض،ما يخلق صراعات داخلية ويؤثر على هويته الشخصية،مما يؤدي به إلى حالة من الاغتراب والبحث الدائم عن الذات.

_ نظرة الغرب إلى الشرق نظرة احتقار ودونية.

_ تجسد العلاقة بين مصطفى سعيد والنساء الأوروبيات نوعا من المواجهة بين ثقافتين،حيث يحاول كل طرف فرض هيمنته على الآخر .

_ معاشرة بطل الرواية "مصطفى سعيد" للنساء الغربيات كان بهدف الانتقام من الحضارة الغربية،لتعويض عقدة النقص التي خلفها الاستعمار في نفس مصطفى سعيد .

_ من خلال شخصية مصطفى سعيد،يظهر تأثير التعليم الغربي والانصهار في الثقافة الغربية،وكيف يمكن أن يؤدي ذلك إلى صراع وانفصال عن الجذور الثقافية الأصلية.

_ الرواية تتعمق في مسألة الهوية والذات،حيث يسعى كل من مصطفى سعيد والراوي في فهم مكانتهم والبحث عن هويتهم واستقرارهم في ظل التحولات الثقافية والاجتماعية .

_ أما فضائي الزمان والمكان في الرواية،فكان من الصعب علينا تحديد الأزمنة،فهي تدور بين الماضي والحاضر والمستقبل بشكل معقد وغير سلس،لتركز على علاقة التأثر والتأثير ،والفضاء المكاني متحرك بين القرية السودانية البسيطة القروية،والمدن اللندنية المتحضرة المبهرة للناظر .

_ وختاما فإن رواية "موسم الهجرة إلى الشمال "عمل إبداعي متميز ومشحون بحمولات فكرية قيمة، لم تتمكن المذكرة من الإحاطة بكل أسرارها،فالعمل الإنساني مهما بلغ يبقى في حاجة إلى الإضافة وأخيرا وليس آخرا،نتمنى أن ينال بحثنا استحسان القارئ الكريم،فحسبنا أننا اجتهدنا وحاولنا فإن أصبنا فمن الله،وإن أخطأنا فلنا أجر الاجتهاد والمحاولة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

المصادر:

الطيب صالح، رواية موسم الهجرة إلى الشمال، دار العين للنشر2004.

المعاجم والمقاييس:

1. ابن منظور لسان العرب، دار المعارف، الطبعة الثانية.
2. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، الجزء الخامس(5).
3. فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس الجمهورية التونسية، الطبعة الأولى،1986.
4. المعجم الوسيط.

المراجع:

1. إحسان عباس،تاريخ النقد الأدبي عند العرب،نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن هجري،دار الثقافة،بيروت،لبنان.
2. أحمد الشايب،أصول النقد الأدبي،مكتبة النهضة العصرية،الطبعة10، 1994.
3. أحمد مرشد،البنية والدلالة في الروايات نصر الله،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت لبنان،الطبعة الأولى،2005.
4. ادريس الخضراوي،الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار،رؤية للنشر والتوزيع،المغرب،ط01، 2012.
5. إدوارد سعيد،الاستشراق،ترجمة كمال أبو ديب،مؤسسة الأبحاث العربية ،لبنان،1984.
6. إدوارد سعيد،الاستشراق،ترجمة محمد عناني،رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،الطبعة الأولى،2006.

7. ارثر ايزابرجر،النقد الثقافي،تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية،ترجمة وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي،منشورات مجلس الأعلى للثقافة،الطبعة الأولى،2007.
8. أليكس ميكشللي،الهوية،ترجمة علي وطفة،دار الوسيم،دمشق،الطبعة العربية الأولى،1993.
9. أمين معلوف،الهوية القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة،ترجمة النبيل المحسن،الطبعة الأولى،ورد للطباعة والنشر والتوزيع،سوريا،دمشق،1999.
10. أمينة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق،دار الفارس للنشر والتوزيع ’عمان الأردن.
11. حسين بحراوي،بنية الشكل الروائي،الفضاء الزمن الشخصية،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،الطبعة الثانية،2009.
12. حميد الحمداني،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي .
13. سمير الخليل،دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1971.
14. ضياء الدين سردار،الاستشراق،صورة الشرق في الأدب والمعارف الغربية .ترجمة فخري صالح،الطبعة الأولى،هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة كلمة،2011.
15. طه أحمد إبراهيم،تاريخ النقد الأدبي عند العرب،من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري،المكتبة العربية بيروت،لبنان، 1981.
16. عبد الحسين شعبان،الهوية والمواطنة البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة،مركز دراسات الوحدة العربية،بناية بيت النهضة،شارع البصرة،صدر ب6001، 113، الحمراء لبنان بيروت .
17. عبد الله الغذامي. النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية،مركز الثقافي العربي،الطبعة الثالثة،2005،المملكة المغربية،الدار البيضاء،لبنان،بيروت.
18. عبد المالك مرتاض،في نظرية الرواية،ديسمبر 1998.

19. عزيزة مريدن، القصة والرواية،دار الفكر بدمشق،شارع سعد الله الجابري 1980.

20. عيسى برهومة،اللغة والجنس حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة،دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان الأردن،الطبعة 01، 2002.

21. مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين،دار الفكر دمشق سوريا.

22. مجموعة من الباحثين،الهوية،ترجمة عبد القادر قانيني،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،الطبعة الأولى،2005.

23. مجموعة من الباحثين، نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاوي، عالم المعرفة،د،ط1978

24. محمد عابد الجابري،مسألة الهوية العروبة والإسلام ...والغرب،مركز دراسات الوحدة العربية،بناية بيت النهضة،شارع البصرة،صدر ب2001،الحمراء بيروت .

25. مهدي عبيدي،جمالية المكان في ثلاثية حنا مينه،الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق،2011.

26. نعمان بوقرة،المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب،جدار للمتاب العالمي،عمان الأردن،الطبعة الأولى،1429هـ،2009م.

27. يمنى العيد، في معرفة النص، دار الافاق الجديدة،بيروت.

المجلات والمقالات:

1. بن علي لونيس،الهوية الثقافية من الانغلاق الإديولوجي إلى الانفتاح الجواري،قراءة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك "للروائي الجزائري "عمار لخوص ".
2. رويدي عدلان،ورقة بحثية للدراسات الثقافية النشأة والمفهوم،جامعة محمد الصديق بن يحي،جيجل،مجلة إشكالات مجلد7،عدد 1.السنة 2018.
3. عبد المالك مرتاض،الرواية جنسا أدبيا،مجلة أقلام،وزارة الثقافة والاعلام،بغداد، 1996، https://arshive.alsharekh.or
4. مريم محمود محمد الحسيني،ورقة بحثية،النخبة المثقفة وأزمة الهوية،جامعة الأزهر،كلية اللغة العربية بإيتاي البارود،المجلة العلمية،العدد 36،الإصدار الثاني،مايو 1444هـ،2023م.
5. نور الدين هميسي،مطبوعة دعم بيداغوجي لمقياس الدراسات الثقافية،جامعة محمد أمين دباغين 'سطيف2002،2.

الملاحق

التعريف بالكاتب "الطيب صالح":

ولد الطيب صالح عام 1929 في قرية كرم كول،بالقرب من بلدة الدبة بإقليم مروي شمالي السودان،في طفولته درس بالخلوة لحفظ القرآن الكريم،وتعلم القراءة والكتابة،حين بلغ الثامنة انتظم في المدرسة الأولية،درس المدرسة الابتدائية بمدينة بورتستان،ودرس الثانوية بمدرسة وادي سيدنا الثانوية في مدينة أم درمان،قبل بكلية لخرطوم الجامعية إبان الاستعمار الانجليزي، التي تحولت فيما بعد إلى جامعة الخرطوم هاجر صالح إلى لندن عام 1953 محولا اختصاصه من العلوم الطبيعية إلى "الشؤون الدولية"، وفيها عمل في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية وترقى لاحقا ليصبح رئيسا لقسم الدراما.

عاد الطيب صالح إلى السودان وعمل مدة من الزمن في الإذاعة السودانية، حيث اشتهر بسرده لسيرة ابن هشام في برنامج سيرة ابن هشام وعمل مديرا إقليميا بمنظمة اليونيسكو في باريس.

هو أديب سوداني وأحد أشهر الأدباء العرب عاش في بريطانيا، قطر، فرنسا ظلت روايته "مسم الهجرة إلى الشمال" التي أكسبته شهرة عالمية على مدى أكثر من 40 عاما ووصفتها الأكاديمية العربية ومقرها دمشق عام 2001 بأنها أهم رواية عربية في القرن العشرين.

توفى الطيب صالح يوم الثلاثاء 17 فبراير 2009 في لندن وشيع جثمانه في مقابر البكري بأم درمان يوم الجمعة 20 فلراير في السودان حيث حضر مراسم العزاء عدد كبير من الشخصيات البارزة والكتاب والعرب يتقدمهم الرئيس السوداني عمر البشير.

مؤلفاته:

- دومة ولد حامد 1060
- عرس الزين 1967 حولت إلى دراما في ليبيا.
- مريود
- نخلة على الجدول
- مسني إنسان نادر على طريقته
- في صحبة المتنبي ورفاقه

- في رحاب الجنادرية وأصيلة
- وطني والسودان
- ذكريات المواسم
- خواطر الترحال

-1- تلخيص الرواية:

بداية الرواية بعودة الراوي إلى القرية الريفية في السودان بعد نيله شهادة الدكتوراه لأطروحة كتبها عن شاعر بريطاني مغبر ،وبعد فترة من عودة الراوي إلى البلدة التقى بمصطفى سعيد شاب هادئ لا يتكلم كثيرا سأل الراوي أهل القرية عنه فقالو له جاء من الخرطوم كان يعمل في التجارة هناك اشترى قطعة أرض وتزوج بنت محمود،كان يحاول الراوي التقرب منه لكن مصطفى سعيد كان دائما يتصرف ويتكلم بطريقة باردة تعب على الراوي التقرب منه بعد فترة من الوقت دعا الراوي مصطفى سعيد إلى منزل صديقه محجوب لاحتساء الشراب وبعد فترة من احتساء الشراب بدأ مصطفى سعيد يلقي الشعر باللغة الإنجليزية بطلاقة فاستغرب الراوي من إتقانه للإنجليزية وكان صديقه محجوب مشغولا يضحك مع بقية من في المجلس فلم ينتبه لما حدث .

اتجه الراوي إليه ثاني يوم في حقله فوجده يحفر الأرض حول شجرة الليمون كان يرتدي سروالا من الكاكي وعلى وجهه بقع من الطين فحياه وقال له "بعض فروع هاته الشجرة تثمر ليمونا وبعضها يثمر برتقالا " فرد عليه الراوي بالإنجليزي عمدا "شيء مدهش " فرد عليه هل تحسب أننا خواجات؟ أم أنستك إقامتك الطويلة في إنجلترا؟فأجابه لكنك ليلة أمس قرأت الشعر باللغة الإنجليزية "

راح الراوي يهدده "من الواضح أنك شخص اخر غير ما تزعم،من الخير لك أن تقول لي الحقيقة "لم يتأثر مصطفى سعيد بالتهديد وراح يكمل الحفر.

عاد الراوي إلى بيته ورأسه يضج بالأفكار،ثم قرر أن يمهله يومين أو ثلاثة،لم يطل انتظاره حتى جاءه مصطفى سعيد يدعوه للتحدث على انفراد، وطلب منه الحضور إلى بيته في اليوم الموالي فقبل العرض وراح إليه عند المغيب،فوجده وحده فرجاه أن يقسم له بأن لايبوح لمخلوق بشيء مما سيحدثه به وراح يخرج رزمة أوراق،فتحت ورقة فوجدتها وثيقة ميلاد مصطفى سعيد،فتحت بعدها جواز سفره،وكان ثمة جواز سفر اخر إنجليزي صدر في لندن عام 1929 به أختام كثيرة فرنسية ألمانية صينية دنماركية .

-2-

يقول مصطفى سعيد إنها قصة طويلة،يتكلم في التفاصيل المهمة،ولدت في الخرطوم نشأت يتيما،مات أبي قبل أن أولد ببضعة أشهر،لم يكن لي إخوة، كنت أنا وأمي لم يكن لنا أهل،كانت كأنها شخص غريب جمعتني به الظروف صدفة في الطريق،كنت أتسكع في الشوارع وألعب خارج البيت،ليس ثمة أحد يأمرني أو ينهاني .كنت ألعب مع الصبية خارج دارنا فجاء رجل على فرس في زي رسمي ووقف فوقنا جرى الصبية،وبقيت أنظر إلى الفرس وإلى الرجل فوقه ؟سألني عن اسمي فأخبرته قال كم عمرك فقلت لا أدري قال لي "هل تحب أن تتعلم في المدرسة "قلت نعم أردفني الرجل خلفه فوق الحصان وحملني إلى مكان من الحجر على ضفة النيل دخلنا وقيدو اسمي في سجل عدت إلى أمي في الظهر فحكيت لها القصة .بدأت الدراسة وسرعان ما اكتشفت في عقلي مقدرة عجيبة على الحفظ والاستيعاب والفهم .تعلمت الكتابة في أسبوعين،طويت المرحلة الأولى في عامين وفي المدرسة الوسطى ألغاز أخرى منها اللغة الإنجليزية .وبعد ثلاثة أعوام عرض علي ناظر المدرسة السفر إلى مصر أو لبنان أو إنجلترا قلت "أريد أن أذهب إلى القاهرة" فسَهل لي السفر والدخول مجانا في مدرسة ثانوية في القاهرة ويوم سفري ذهبت لأمي وحدثتها فقالت "لو أن أباك قد عاش لما اختار لك غير ما اخترته لنفسك"كان ذلك وداعنا ركبت القطار جلست قبالة رجل على رقبته صليب كبير أصفر تحدث معي بالإنجليزية كم سنك؟فقلت له خمسة عشر كنت في الواقع في الثانية عشرة.قال تتحدث اللغة الإنجليزية بطلاقة . وصلت القاهرة فوجدت مستر روبنسن وزوجته في انتظاري صافحني الرجل وقال كيف أنت يا مستر سعيد؟فقلت بخير ثم قدمني إلى زوجته فعانقتني وقبلتني شعرت برائحة أوروبية غريبة تدغدغ أنفي شعرت وأنا صغير بشهوة جنسية مبهمة لم أعرفها من قبل .لم أجد غير مسز روبنسون أسند رأسي إليها عندما حكموا علي بالسجن لمدة سبع سنوات،كان مستر روبنسن يحسن العربية ويعي بالفكر الإسلامي فزرت معهم جوامع القاهرة كانا على الرصيف حين أقلعت الباخرة نحو لندن وكانت مسز روبنسن تلوح لي بمنديلها وتبكي حينها كنت في الخامسة عشرة ولكن أبدو في العشرين من عمري وصلت لندن وتعلمت فصاحة اللغة بالممارسة .

. عند 24 عين أستاذ محاضر في الجامعة لندن وعند سن الخمسة وعشرين التقى بجين موريس وكان يقضي وقته مع البنات من بينهم ان هامند التي كانت المرأة الثالثة المنتحرة من أجله وكان مع كل مرأة أجنبية يقابلها يغير اسمه كشيلا قال إن اسمه حسن وإيزابيلا سيمور قال اسمه أمين واعترف في المحكمة أنه قتل زوجته جين موريس .

هذه قصة مصطفى سعيد في لندن إلى أن عاد واستقر في تلك القرية وتزوج وأصبح له ولدان،ثم حدثت فيضانات وبحث عنه أهل القرية وزوجته دون نتيجة وحتى الجثث التي وجدت لم تكن جثته من بينها فزعموا أنه مات غرقا .

3-

بعد موت مصطفى سعيد يترك وصية للراوي أن يهتم بأولاده وزوجته كما ترك له مفتاح غرفته السرية {الراوي يعمل كأستاذ في الخرطوم وهو في عملية ذهاب وإياب مستمرة من الخرطوم إلى الريف } وبعد عودته إلى الريف في ذات المرات اجتمع بمجلس مع جده وصديقه اسمه ولد الريس أو عاشق النساء وامرأة عجوز تدعى بنت محجوب {تتصرف كأحد الرجال وتبادلهم الدعابة والسخرية مليئة بكلام عن الجنس وأزواجها العديدين } فيعلم أن ولد الريس يريد الزواج من أرملة مصطفى سعيد فكلمها ولم تقبل وعند سفره إلى الخرطوم سمع بزواجها من ولد الريس غصبا عنها،ثم أنها قتلته وقتلت نفسها بعد سماعه بالخبر عاد للقرية وضل يسال لكن كلهم ضلوا يتجنبونه،وقالت له أمه لماذا تركت عملك وجئت ؟قال لها الولدان قالت الأولاد أم أم الأولاد ؟جاءت لأبيك وقالت له بلسانها قولو له يتزوجني يا للجرأة وفراغة العين نساء اخر زمن .

في صبيحة اليوم الثالث توجه إلى بنت مجذوب وفي جيبه زجاجة الويسكي يقول "قلت لها أريد أن أعرف ما حدث لا أحد يريد أن يخبرني "من خلال كلام بنت مجذوب عرف أنها قتلته وقتلت نفسها طعنته أكثر من عشر طعنات، طعنته في صدره وفي بطنه وفي محسنه،عض حلمة نهدها حتى قطعها وعضها وخدشها في كل شبر من جسمها الدم يسيل من شفتها السفلى، ولم تستطع بنت مجذوب أن تستمر ثم اتجه إلى محجوب في الحقل لبث

واقفا يراقبه وهو يحاول أن يفصل شتلة عن النخلة الأم لم يحييه ولم يلتفت إليه وبعد إنهاء عمله توجه إليه وجلس معه وبعد أخذ وعطاء في الكلام حدث صراع بينهما وقتال حتى فقد الراوي وعيه.

بعدها اتجه إلى دار مصطفى سعيد دخل إلى غرفته وجد كتب كثيرة ودواوين شعر مختلفة،ومقالات الاقتصاد الماركسي،والعديد من الصور المصفوفة .مصطفى سعيد في مكان ما في الريف وبالزي الجامعي،مصطفى سعيد في تمثيلية الميلاد وأخرى يتوسط رجلا وامرأة،وصورة أخرى لامرأة قرأت الاهداء بخط منمق {من شيلا مع كل حبي} كان يغرمها بالهدايا والكلام المعسول كانت تقول له سيقتلني والداي إذا علموا أني أحب رجلا أسود لكنني لا أبالي .لماذا انتحرت شيلا يا مستر مصطفى سعيد؟

والتقطت صورة أخرى لإزابيلا سيمور وقرأت الاهداء بحط عريض {لك حتى الممات إيزابيلا سيمور } مسكينة هي الأخرى قالو إنها ماتت بسبب مرض السرطان لا بسبب مصطفى سعيد .

وبعد ما رأيته وأنا أحس بالمرارة والحقد،فقد توَج حياته بضحية أخرى حسنة بنت محمود،قتلت ولد الريس وقتلت نفسها من أجل مصطفى سعيد،والتقطت صورة في إطار من الجلد والإهداء بخط عربي مهتز :{من جاريتك سوسن } هذه بلا شك ان هامند وجدوها منتحرة بالغاز في شقتها ورسالة مكتوب عليها {مستر سعيد لعنة الله عليك } .

كان كل شيء مرتب ومنظم في الغرفة إلا صورة جين موريس كأنه لا يدري ما يفعل بها ."كانت جين موريس ماجنة بالفعل والقول .لكنني رغم إرادتي أحببتها وبعد أعوام قالت لي: لقد تعبت من مطاردتك تزوجني فتزوجتها في مكتب التسجيل في فولام لكن بقيت جين موريس على حالها خيانة ومجون وحرب بيني وبينها إلى أن قتلتها ..."

نهاية الرواية في لحظة انعتاق من الذات يقوم بها الراوي في لحظة يندمج فيها كإنسان عار مع نهر النيل.

شكر وتقدير	
الإهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: المفاهيم المفتاحية	**5**
المبحث الأول: تحديد الماهيات	**5**
تعريف الرواية لغة/ اصطلاحا	**6**
تعريف الثقافة لغة/اصطلاحا	**10**
مفهوم النسق لغة/اصطلاحا	**12**
مفهوم النسق المضمر	**14**
تعريف النقد لغة/اصطلاحا	**16**
تعريف النقد الثقافي	**18**
بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية	**20**
الفصل الثاني: الأنساق الثقافية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال	**23**
ثنائية الغرب	**24**
ثنائية الشرق	**29**
نسق الذكورة	**41**
نسق الأنوثة	**44**
نسق الهوية...أزمة الهوية	**46**

نسق المكان	**54**
خاتمة	**62**
قائمة المصادر و المراجع	**65**
ملحق:	**73**
تلخيص الرواية	**75**

الملخص:

يهدف بحثنا إلى دراسة الأنساق الثقافية في الرواية وتتبع صيرورتها ،لذلك وسمنا مذكرتنا "بالأنساق الثقافية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال لطيب صالح "،حيث المتن وجدنا أنساقا ثقافية بارزة كنسق الذكورة والأنوثة ،وثنائية الشرق والغرب ،ونسق الهوية، وقد أسهمت العديد من النقاد في اكتشاف الأنساق الثقافية المضمرة التي ظهرت وتجسدت عبر مكونات السرد ،والمواقف ،والقيم ،والأفكار التي احتواها الروائي.

الكلمات المفتاحية: الأنساق الثقافية ،النقد ،رواية الطيب صالح.

Abstract :

Our research aims to study the cultural patterns in the novel and trace their development. Therefore, we titled our paper "Cultural Patterns in Tayeb Salih's Season of Migration to the North," where we identified prominent cultural patterns such as gender dynamics, East-West dichotomy, and identity formation. Many critics have contributed to uncovering these underlying cultural patterns manifested through narrative components, events, values, and ideas portrayed in the novel.

Keywords: cultural patterns, criticism, Tayeb Salih's novel.